

ذكر المجهولين من الرجال

١٩١ - رجل من بني مُرَّة بن عَوْف

يقال : مرة بن رباب ، ويقال : ابن ذُبَيان

كان في غزوة مؤتة فقيـل له : إن الناس يقولون : إن خالداً انهزم من المشركين . فقال : لا والله ما كان ذلك ، لما قتل ابن رواحة نظرت إلى اللواء قد سقط ، واختلط المسلمون والمشركون ، فنظرت إلى اللواء في يد خالد منهزماً واتبعناه فكانت الهزيمة .

قال : وكأني أنظر إلى جعفر حين لحته الحرب ، عقر فرساً له شقراء ثم قاتل حتى قُتِل .

١٩٢ - رجل من أُمْدَاد^(١) حَمِير

قال عوف بن مالك الأشجعي :

خرجت مع مَنْ خرج مع زيد بن حارثة في غزوة مؤتة ، فرافقني مَدَدِي من أهل اليمن - وفي حديث آخر : رجل من أمداد حمير - ليس معه غير سيفه ، فنحر رجل من المسلمين جزوراً ، فسأله المددي طائفة من جلده ، فأعطاه إياه ، فاتخذ كهيئة الدَّرَق^(٢) ، وفيهم^(٣) رجل على فرس له أشقر ، عليه سرج مُنْذَهَب وسلاح منذهب ، فجعل الرومي يفرق بالمسلمين ، وقعد له المددي خلف صخرة ، فر به الرومي فعرب فرسه فخرَّ وعلاه فقتله ، فحاز فرسه وسلاحه ، فلما فتح الله على المسلمين بعث خالد بن الوليد فأخذ

(١) جمع مدد ، وهم الأعوان والأنصار الذين كانوا يدون المسلمين في الجهاد . النهاية : مدد .

(٢) ضرب من الترس ، الواحدة درقة ، تتخذ من الجلود . اللسان : درق .

(٣) أي الروم .

من السِّلَب . قال عوف : فأتيته ، فقلت : يا خالد ، أما علمت أن رسول الله ﷺ قضى بالسِّلَب للقاتل ؟ قال : بلى ، ولكنني استكثرته [٩١/ب] قال عوف : فقلت : لتردّنه أو لأعرّفنكها^(١) عند رسول الله ﷺ ؟ فأبى أن يرده عليه . قال عوف : فاجتمعنا ، فقصص عليه قصة المَدَدِي وما فعل خالد . فقال رسول الله ﷺ : يا خالد ، ما صنعت ؟ قال : يا رسول الله ، استكثرته . فقال رسول الله ﷺ ، رُدّ عليه ما أخذت منه . فقلت : دونك يا خالد ، ألم أقل لك ؟ فقال رسول الله ﷺ : ما ذلك ؟ فأخبرته ، فغضب رسول الله ﷺ وقال : يا خالد ، لا تردّ عليه^(٢) ، هل أنتم تاركو لي أمرائي ، لكم صفوة أمرهم^(٣) ، وعليهم كدره .

١٩٣ - رجل شهد يوم مؤتة

لما كان يوم مؤتة برز رجل كافر^(٤) من قُضاعة ، يشتم رسول الله ﷺ ، فبرز إليه رجل من المسلمين فقال : يا هذا ، أنا فلان بن فلان وأمي فلانة وأنا من بني فلان فنبني وسبّ والدي وسبّ عشيرتي ، واكفف عن رسول الله ﷺ ، فكأنما أغراه . فقال المسلم : لتنتهين أو لأرجلنك بسيقي . فلم ينته . فشد عليه المسلم بسيفه فضربه ، وضربه^(٥) القُضاعي فقتله . فقال رسول الله ﷺ : عجبت لرجل نصر الله ورسوله بالغيب وألفى ربه متكئاً فجلس له . قال : فأسلم ذلك القاتل ، فكان يسمى الرُّجِيل .

قال : هذا منقطع ، ومعناه - إن صح - أن الله تبارك وتقدس ، تلقاه بالإكرام كما يفعل من قدم عليه من يجله ويكرمه ، تعالى الله عن صفات الأجسام .

(١) أي لأجازينك بها حتى تعرف سوء صنيعك ، وهي كلمة تقال عند التهديد والوعيد . النهاية : عرف .

(٢) في مسند الإمام أحمد : ٢٨/٦ . لا تردده عليه .

(٣) في الأصل : أمرهم ، وهو تصحيف ، والمثبت من مسند الإمام أحمد : ٢٨/٦

(٤) مستدركة على هامش الأصل .

(٥) في الأصل : وضرب ، والمثبت من « تاريخ ابن عساكر » س : ١٤٨/١٩ ب .

١٩٤ - رجل من بني أسد

قَتْسِرِيُّنِي ، له صحبة ، وفد إلى معاوية .

حدث خالد بن معدان قال :

وفد المُقْدَام بن معدي كرب ، وعمر بن الأسود ، ورجل من [بني] الأسد من قَتْسِرِينَ من أصحاب النبي ﷺ على معاوية ، فقال معاوية للمقدام : أما علمت أن الحسن بن علي [٩٢/آ] توفي ؟ قال : فاسترجع المقدام . فقال له معاوية : أترأها مصيبة ؟ قال : ولم لأراها مصيبة وقد وضعه رسول الله ﷺ في حجره فقال : هذا مني وحسين من علي ؟ فقال للأسدي : ماتقول أنت ؟ قال : جرة أطفأها الله . فقال المُقْدَام : أما أنا فلا أبرح اليوم حتى أغيطك وأسمعك ماتكره ، ثم قال : إن أنا صدقت فصدقني ، وإن أنا كذبت فكذبني . فقال : أفعل . فقال : أَنَشُدْكَ الله ، هل سمعت رسول الله ﷺ نهى عن لبس الذهب ؟ قال : نعم . قال : وَأَنَشُدْكَ الله ، هل تعلم أن رسول الله ﷺ نهى عن لبس الحرير ؟ قال : نعم . قال : أَنَشُدْكَ الله ، هل تعلم أن رسول الله ﷺ نهى عن جلود السباع والركوب عليها ؟ قال : نعم . قال : فوالله ، لقد رأيت هذا كله في بيتك يا معاوية . فقال معاوية : قد عرفت أي لن أنجو منك اليوم . قال خالد : وأمر له معاوية بمال ولم يأمر لصاحبه ، وفرض لابنه قال : ففرقها المقدام على أصحابه ، ولم يعط الأسد شيئا مما أخذ ، فبلغ ذلك معاوية ، فقال : أما المقدام فرجل كريم بسط يديه ، وأما الأسد فرجل حسن الإمساك لنفسه .

١٩٥ - رجل من غَسَّان

له وفادة على سيدنا رسول الله ﷺ .

قَدِمَ قوم من غَسَّان على رسول الله ﷺ في رمضان سنة عشر المدينة ، وهم ثلاثة ، قالوا : فنزلنا دار رملة بنت الحارث ، فإذا وفود العرب كلهم مصدقون بمحمد ﷺ فقلنا فيما بيننا : أترأنا شَرَّ مَنْ يُرى من العرب ؟ ثم أتينا رسول الله ﷺ فأسلمنا وصدقنا وشهدنا أن

(١) ما بين حاصرتين ليس في الأصل ، والمثبت من « تاريخ ابن عساکر » س : ١٤٨/١٩ ب .

ما جاء به حق ولا ندرى أيتبعنا قومنا أم لا ، فأجازهم رسول الله ﷺ [١٢/ب] بجوائز وانصرفوا راجعين . فقدموا على قومهم فلم يستجيبوا لهم ، فكتبوا إسلامهم حتى مات منهم رجلان مسلمان ، وأدرك واحد منهم عمر بن الخطَّاب عام اليرموك ، فلقي أبا عبيدة فخبَّره بإسلامه ، فكان يكرمه .

١٩٦ - رجل له صحبة

قال عبد الواحد القُرشي :

لما أتى يزيد بن معاوية برأس الحسين بن علي عليهما السَّلام ، تناوله بقضيب ، فكشف عن ثناياه ، فوالله ما ألَّبرَدَ بأبيض من ثناياه ثم قال : [من الطويل]

يَفْلَقُنْ هَاماً مِنْ رِجَالِ أَعَزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا^(١)

فقال له رجل عنده : يا هذا ، ارفع قضيبك ، فوالله لقد رأيت شفتي رسول الله ﷺ في مكانه يقبله ، فرفعه متذمراً عليه ، فغضب .

١٩٧ - رجل من خُثَعَم

له صحبة .

قال رجل من أهل الشَّام يقال له عمار : أَدْرَبْنَا عَاماً^(٢) ، وقفنا وفينا شيخ من خُثَعَم ، فذكر الْحِجَّاج ، فوقع فيه وشته ، فقلت له : ولم تشته وهو يقاتل أهل العراق في طاعة أمير المؤمنين ؟ ! فقال : إنه هو الذي أكفرهم . ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يكون في هذه الأمة خمس فتن ، فقد مضت أربع وبقيت واحدة وهي الصَّيْلَم ، وهي فيكم يا أهل الشَّام ، فإن أدركتها فإن استطعت أن تكون حجراً فكنه ، ولا تكن مع واحد من الفريقين ، وإلا فاتخذ نفقاً في الأرض . قلت : أنت سمعت هذا من رسول

(١) البيت للحصين بن الحَمام من قصيدة طويلة . انظر المفضليات : ٦٤ - ٦٩

(٢) أدرب القوم : إذا دخلوا أرض العدو من بلاد الروم . اللسان : درب .

الله ﷺ ؟ قال : نعم . قلت : يرحمك الله ، أفلا كنت أعلمتني أنك رأيت النبي ﷺ حق أسألك .

١٩٨ - رجل من أصحاب النبي ﷺ

قال القاسم بن مخيمرة :

أتيت مسجد دمشق ، فإذا فيه ناس جلوس يتحدثون ، وإذا فيهم شيخ من أصحاب رسول الله ﷺ فجلست إليهم ، فتحدثنا حديثاً حسناً ، [٩٣/أ] ثم تفرقنا ، فلما أصبحت من الغد قلت : لآتين جلسائي فأجلس معهم . قال : فلما أتيت المسجد إذا فيه الشيخ جالس وحده ، فأتيته فقمعدت طويلاً لا يحدثني ولا أحدثه فقلت له : ألا تحدثني ؟ فيأني والله لأحبك وأحب حديثك . قال : الله ؟ قلت : الله . قال : فإنه من تحاب في الله فإنه في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله . ثم قال : يابني أو يابن أخي ، إذا أصبحت فقل لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، عشر مرات ، فإنهن يكتبن عشر حسنات ، ويمحون عشر سيئات ويكن عِدل أربع نسمات من بني إسماعيل ، ويكن حارساً لك من الشيطان إلى أن تمسي ، فإذا أمسيت فقلهن يكن لك ذلك حتى تصبح .

١٩٩ - رجل له صفة

قال عبد الجبار الخولاني :

قدم علينا رجل من أصحاب رسول الله ﷺ دمشق ، فرأى ما فيه الناس - يعني من الدنيا - فقال : وما يغني عنهم ، أليس من ورائهم الفلق ؟ قيل : وما الفلق ؟ قال : جُب في النار ، إذا فتح هَر منه أهل النار .

٢٠٠ - رجل رأى رسول الله ﷺ

وبقي إلى خلافة عمر بن (١) عبد العزيز (١) .

جاء عمرَ رجل فقال :

يا أمير المؤمنين ، ها هنا رجل قد رأى رسول الله ﷺ . فقام عمر وقام معه جماعة قال : أنت رأيت رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم قال : فهل سمعت منه شيئاً أو رأيته يصنع شيئاً ؟ قال : لا ، إلا أني رأيته عليه كُرْكِرَةٌ (١) من الناس ، ورجل يسأله عن الرؤيا ، فقال رسول الله ﷺ : للرؤيا شبه ، المرأة خير ، والبعر حزن ، واللبن الفطرة ، والخضرة الجنة ، والسفينة نجاة .

٢٠١ - رجل من مَزَيْنَةَ

كانت عنده قطيفة النبي ﷺ ، أو قطيفة من النبي ﷺ [٩٣/ب] فلما استخلف عمر بن عبد العزيز أرسل إليه ، فأتي بها في أديم ، فجعل يمسح بها وجهه .

٢٠٢ - رجل شَهِدَ اليرموك

قال رجل لأبي عبيدة يوم اليرموك : إني قد أجمعت عليّ أمري أن أشدّ عليهم ، فهل توصوني إلى نبيكم ﷺ بشيء ؟ فقال : تقرئه السلام وتخبره أننا قد وجدنا ما وعد الله ورسوله حقاً .

٢٠٣ - رجل من أهل اليمن

أدرك النبي ﷺ ، [شهد اليرموك] (٢) فأصيب يده .

كان عمر بن الخطاب يغدي الناس يوماً ، فرأى رجلاً يأكل بشماله فقال له : كُلْ

(١-١) مستدرک علی هامش الأصل .

(٢) الكرکرة : الجماعة من الناس . اللسان : كركر .

(٣) ما بين حاصرتين ليس في الأصل ، ولثبت من تاريخ ابن عساکر : ١٥٠/١٩ ب

بيمينك . فلم يجبه ، فأعاد عليه فقال : هي يا أمير المؤمنين مشغولة . فلما فرغ من طعامه دعا به فقال : ماشغل يديك الينى ؟ فأخرجها ، فإذا هي مقطوعة فقال : ما هذا^(١) ؟ فقال : أصيبت يدي يوم اليرموك . قال : فن يوضك ؟ قال : أتوضأ بشمالي ، ويعين الله . قال : فأين تريد ؟ قال : الين ، إلى أم لي لم أرها منذ كذا وكذا سنة قال : أويبر أيضاً ! فأمر له بخادم وخمسة أباعر من الصدقة وأوقرها له .

٢٠٤ - رَجُلٌ مِنْ دِمَشْقَ

ركب أبو الدُرْدَاءِ إلى المدينة في نفر من أهل دمشق ، ومعهم المصحف الذي جاء به أهل دمشق ليعرضوه على أبي بن كعب وزيد بن ثابت وعليّ وأهل المدينة ، فقرؤوا على عمر بن الخطاب ، فلما قرؤوا هذه الآية ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾^(٢) ولو حميت كما حوا لفسد المسجد الحرام .

فقال عمر : مَنْ أقرأكم ؟ قالوا : أبي بن كعب . فقال لرجل من أهل المدينة : ادع لي أبي بن كعب . وقال للرجل الدمشقي : انطلق معه . فذهبا ، فوجدا أبي بن كعب عند منزله يهنأ^(٣) بعيداً له بيده ، فسلاً . ثم قال له المدني : أجب أمير المؤمنين عمر . فقال أبي : ولم دعاني أمير المؤمنين ؟ فأخبره بالذي كان . فقال أبي للدمشقي : ما كنتم تنتهون معشر الركب أو يسترقني [١٤/آ] منكم شر . ثم جاء إلى عمر وهو مشمر ، والقطران على يديه ، فلما أتى عمر قال لهم : اقرؤوا . فقرؤوا : ولو حميت كما حوا لفسد المسجد الحرام . فقال أبي : أنا أقرأتهم . فقال عمر لزيد : اقرأ يا زيد . فقرأ زيد قراءة العامة . فقال عمر : اللهم لا أعرف إلا هذا . فقال أبي : والله يا عمر ، إنك لتعلم أني كنت أحضر وتغيبون ، وأدعى وتحجبون ، وتصنع بي ! والله لئن أحببت لألزم من بيتي فلا أحدث أحداً بشيء .

(١) في الأصل : ما هكذا ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٥٠/١٩ ب .

(٢) سورة الفتح : ٢٦/٤٨

(٣) أي يطليه بالهناء ، وهو القطران . اللسان : هنا .

٢٠٥ - رجل من الأزد

من ثَمَالَة .

حدث أنه رأى عمر بن الخطاب بالجابية سجد في ﴿ إذا السماء انشقت ﴾

٢٠٦ - شيخ حكى عن عمر بن الخطاب

(١) أتى عبد الملك بن مروان في خالة وعمة . فقام (٢) شيخ فقال (١) : شهدت عمر بن الخطاب أعطى الخالة الثلث ، والعمة الثلثين قال : فهم أن يكتب . ثم قال : أين زيد (٣) عن هذا ؟ !

٢٠٧ - قاضي دمشق

في خلافة عمر .

قال عمر بن الخطاب لرجل قاض : من أنت (٤) ؟ قال : أنا قاضي دمشق . قال : كيف تقضي ؟ قال : أقضي بكتاب الله . قال : فإذا جاء ماليس في كتاب الله ؟ قال : أقضي بسنة رسول الله ﷺ . قال : فإذا جاء ماليس في سنة رسول الله ﷺ ؟ قال : أجتهد رأيي وأوامر جلسائي . فقال له عمر : أحسنت ، وقال له : إذا جلست فقل : اللهم ، إني أسألك أن أقضي بعلم ، وأن أفتي بحكم ، وأسألك العدل في الغضب والرضا . قال : ففسار ماشاء الله أن يسير ، ثم رجع إلى عمر . قال : ما رجعتك ؟ قال : رأيت فيما يرى النائم أن الشمس والقمر يقتتلان مع كل واحد منهما جنود من الكواكب . قال : مع أيها كنت ؟ قال : مع القمر . قال عمر : نعوذ بالله ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ (٥) والله لا تلي لي عملاً أبداً .

قال : فيزعمون أن ذلك الرجل قتل مع معاوية بصفين .

(١-١) مستدرك على هامش الأصل .

(٢) في الأصل : فقال ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٥١/١٩ أ .

(٣) هو زيد بن ثابت ، الصحابي الجليل ، وفي الحديث : وأقرضهم زيد بن ثابت . انظر مسند الإمام أحمد : ٢٨١/٣

(٤) في الأصل العبارة مكررة . قال عمر بن الخطاب لرجل : من أنت ؟

(٥) سورة الإسراء : ١٢/١٧

٢٠٨ - رجل من دمشق

حجَّ مع عمر ، واستفتاه .

[٩٤/ب] عن أبي المليح أنه كتب إلى أبي عُبَيْدة بن عبد الله بن عتبة يسأله عن النِّعامة يصيبها الْمُحْرِم وعن الحمار ، وعن بيض النِّعَام وعن الجرادة . فكتب إليه : في النِّعامة بَدَنَةٌ ، وفي الحمار بدنة . قال : وكان عبد الله بن مسعود يقول في بيض النِّعَام : في كل بيضة صوم يوم أو إطعام مسكين .

وأصاب رجل من أهل دمشق ثلاث جرادات وهو مُحْرِم ، فأعطى عن كل جرادة درهماً . فذَكَرَ ذلك لعمر بن الخطَّاب فقال : إنكم كثيرة دراهم يا أهل دمشق ، ولثمرة أحب إليَّ من خمسين جرادة ، وقبضة طعام كانت جازية عنك .

٢٠٩ - عامل لعمر بن الخطَّاب

على أذِرْعَات ، من البُلْقَاء .

قال : قَدِمَ علينا عمر بن الخطَّاب ، وعليه قميص من كرايس^(١) فأعطانيه ، فقال : اغسله وارقمه . قال : فغسلته ورقعته ، ثم قطعت عليه قميصاً قبطياً فأتيته بها ، فقلت : هذا قميصك ، وهذا قميص قطعته عليه لتلبسه ، فسه فوجده ليئناً ، فقال : لاحتاجة لنا فيه ، هذا أنشف للعرق منه .

٢١٠ - رجل من بني أسد

حدَّث أبو وائل شقيق بن سلمة الأسدي ، عن رجل من قومه قال : غزونا مع عمر بن الخطَّاب الشَّام ، فنزلنا منزلاً ، فجاء دِقْقَان يستدل على عمر حتى أتاه ، فلما أتاه الدِّهْقَان ، سجد حين رأى عمر . فقال عمر : ما هذا السجود ؟ ! قال : هكذا نفعل بعظماؤنا . فقال عمر : اسجد للذي خلقك . قال : يا أمير المؤمنين ، إني صنعت لك

(١) هي جمع كرباس ، وهو القطن . اللسان : كريس .

طعاماً لتأتيه . فقال عمر : لعل في بيتك شيئاً^(١) من زخرف المعجم ؟ قال : نعم . قال : لا حاجة لي في بيتك ، ولكن ابعثْ إليّ بلون واحد من طعام ، ولاتزيدن عليه . وانطلق ، فبعث إليه بطعام ، فأكل منه عمر ، فاستقبله الناس في ثياب الحرير والديباغ . فقال : هذا لباس أهل الشرك ، بئس ما [١٩٥ / آ] استقبلتوني به ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا تلبسوا الديباغ ولا الحرير ، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ، فإنها لكم في الآخرة ، ولهم في الدنيا ، ثم أمر بطيلاء فصنع له شيء ذهب ثلثاه وبقي ثلثه فشربه فوافقه ، فقال : إني قد أمرت بشراب من العنب فطبخ حتى ذهب ثلثاه وبقي ثلثه ، وخفت أن تقولوا أمر به عمر ؛ فتشربون غيره ، وإني لا آمركم إلا بمثل هذا .

٢١١ - رجل من الأشعرين

كان زوج أم شهر بن حوشب .

حدث شهر بن حوشب عن رابع^(٢) ، رجل من قومه كان خلف على أمه بعد أبيه ، كان شهد طاعون عتواس قال :

لما اشتعل الوجد قام أبو عبيدة بن الجراح خطيباً فقال : أيها الناس ، إن هذا الوجد رحمة ربكم ، ودعوة نبيكم ، وموت الصالحين قبلكم ، وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم له منه حظاً ، قال : فطعن ، فمات . واستخلف على الناس معاذ بن جبل ، فقام خطيباً بعده ، فقال : أيها الناس ، إن هذا الوجد رحمة ربكم ، ودعوة نبيكم ، وموت الصالحين قبلكم ، إن معاذاً يسأل الله أن يقسم لآل معاذ منه حظاً . فطعن ابنه عبد الرحمن ، فمات ، ثم قام فدعا ربه لنفسه ، فطعن في راحته ، فلقد رأيت ينظر إليهما ثم يقبل ظهر كفه ، ثم يقول : ما أحب أن لي بما فيك شيئاً من الدنيا . فلما مات استخلف على الناس عمرو بن العاص ، فقام فينا خطيباً ، فقال : أيها الناس ، إن هذا الوجد إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار ، فتجبلوا منه في الجبال . فقال له أبو وائلة الهذلي : كذبت والله ، لقد صحبت رسول الله ﷺ ، وأنت شر من حماري هذا !! قال : والله ما أُرَدُّ عليك ماتقول ، وإيم الله

(١) في الأصل : شيء .

(٢) انظر حاشيتنا رقم ١٧٤/ص من هذا الجزء .

لأَتَقِيمَ عَلَيْهِ . ثم خرج وخرج النَّاسُ ، وتفرَّقوا عنه ، ورفع الله عَزَّ وجل عنهم ، فبلغ ذلك عمرَ بنَ الخطَّابِ مِنْ رَأْيِ عمرو ، فوالله ما كَرِهَهُ .

٢١٢ - رجل من بني تميم

[٩٥/ب]

قال : كنا عند باب معاوية ، وفينا أبو ذر ، فقال أبو ذر : إني صائم . فلما دخلنا على معاوية ، ووضعت الموائد جعل أبو ذر يأكل ، وجعلت أنظر إليه ، فقال : ماشأنك يا أحر ، أتريد أن تشغلني عن طعامي ؟ فقال : ألم تزعم على الباب أنك صائم ؟ فقال أبو ذر : بلى . ثم قال : قرأت ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ ^(١) ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ وثلاثة أيام من كل شهر ، صَوْمُ الدَّهْرِ ، ويذهب بِمَغَلَّةِ الصَّدْرِ . قلت : ما مَغَلَّةُ الصَّدْرِ ؟ قال : رِجْسُ الشَّيْطَانِ ، وقد صمت ثلاثة أيام من كل شهر ، فأنا صائم الدَّهْرَ كُلَّهُ .

٢١٣ - رجل من أهل دمشق

قال : أتيت أبا ذر وهو في جبل الحمر ^(٢) لأسأله ، فرأيتَه وهو مكبٌّ على نُؤيرة ^(٣) هو وامراته يعالجهما في يومٍ رشاش ^(٤) وقد سالت دموعه على لحيته ، فلما غَشِيَتْهُ ثارت امرأته فدخلت خبأها ، وأرخت عليها سترها . فقلت : يا أبا ذر ، لو أنك اشتريت خادماً يكف المؤنة عنك وعن أهلِكَ . فقالت امرأته : قد والله قلت له . فقال أبو ذر : اللهم غفراً ، أنا أبو ذر وهذا عيشي ، فإن تصبري فأنا من قد عرفت ، وإلاّ فتحت كنف الله . فقلت : يا أبا ذر ، أنا رجل ليس لي فضل ، وإنما هو عطائي منه فضل يدرك عطائي الآخر ، وقد بقي منه شيء ، أفتتخوف عليّ إن أدركني أجلي ، وعندي منه شيء ؟ فقال : والذي نفسي بيده ، لو أدركك أجلك ، وعندك منه فضل خَرَّ بَصِيصَةً ^(٥) لكويت به . قلت : يا أبا ذر ، أنت في

(١) سورة الأنعام : ١٦٠/٦

(٢) جبل بيت المقدس ، سمي بذلك لكثرة كرومه . معجم البلدان : ١٠٢/٢

(٣) تصغير نار . اللسان : نور .

(٤) المطر القليل . اللسان : رشش .

(٥) هي الهنة التي تتراعى في الرمل لها بصيص كأنها عين الجراد . اللسان : خريص .

أربع مئة ، فأين يذهب عطاؤك ؟ قال : ترى هذه القرية ، فإن لي فيها ثلاثين فرساً أحل على خمسة عشر في كل عام - أوقال : غزوة - فإذا رجعت ، أعقبتهما بالأخرى ، ثم نظرت إلى ما يصلحها من أعلافها وأجلائها ، وأجرائها ، وكلما نَفَقَ منها فرس أبدلت مكانه فرساً ، ثم نظرت إلى قوتي وقوت أهلي فحبسته وتصدّقت بالفضل .

[٩٦ / آ] ٢١٤ - رَجُلَانِ مِنْ أَهْلِ دِمَشْقَ

تنازعا ، فعائنا ، فاستطال أحدهما على الآخر ، فعاث المستطال عليه ، ثم قام فلقبه أبو الدُّرداء ، فقال : شعرت أنك قد نصرت على صاحبك . قال : بماذا يا أبا الدرداء ؟ قال : كثر ماله وولده ، ومن يكثر ماله وولده تكثر شياطينه .

٢١٥ - رَجُلٌ سَأَلَ أَبَا الدُّرْدَاءِ

وهو مريض ، فقال : يا أبا الدُّرداء ، إنك قد أصبحت على جناح فراق الدنيا ، فرني بأمر ينفعني الله به ، وأذكرك به . فقال : إنك من أمة معافاة ، فأقم الصلاة ، وأدّ زكاة مالٍ إن كان لك ، وصم رمضان ، واجتنب الفواحش ، ثم أبشر . فأعاد الرجل على أبي الدرداء ، فقال له مثل ذلك . قال شعبة : أحسبه ثلاث مرات ، ورد عليه ثلاث مرّات .

٢١٦ - رَجُلٌ رَحَلَ إِلَى أَبِي الدُّرْدَاءِ

كان فقي ، زَوْجَتُهُ أُمُهُ ابْنَةُ عَمِّهِ ، فَطَلَّقَ مِنْهَا مَعْلَقاً^(١) ثُمَّ قَالَتْ لَهُ : طَلِّقْهَا . فقال : لا أستطيع ، علقت مني معلقاً ما أستطيع طلاقها . فقالت : طعامك وشرابك عليّ حرام حق تطلقها . فخرج إلى أبي الدرداء بالشّام ، فذكر له شأنه ، فقال : ما أنا بالذي أمرك أن تَعَقَّ والدتك ولا أمرك أن تطلق امرأتك . فأعاد عليه فقال : سمعت النبي ﷺ يقول : الوالد أوسط أبواب الجنة ، فإن شئت فاحفظه ، وإن شئت فضيِّعه . قال : فرجع وقد طلقها .

(١) أي أحبها وشغف بها . اللسان : علق .

٢١٧ - رجل من أصحاب [أبي]^(١) الدرداء

قال : حدثنا أبو الدرداء ، قال : عهد إلينا رسول الله ﷺ أن أخوف ما أخاف على أمتي أئمة مَضْلُون .

٢١٨ - رجل نخعي من أهل الكوفة

قال :

شهدت أبا الدرداء حين حضره الموت ، قال : إني محدثكم حديثاً سمعته من [٩٦/ب] رسول الله ﷺ لم أكن لأحدثكم به حتى أعلم أي ميت ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : اعْبُدِ الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، وعدَّ نفسك في الموتى ، واثقِ دَعَوَاتِ المَظْلُوم ، فإنها مستجابات ، ومن استطاع منكم أن يشهد العِشاء الآخرة وصلاة القَدَةِ في جماعة فليفعل ، ولو حَبَوًّا .

٢١٩ - رجل سَمِعَ أبا الدرداء ومُعَاوِيَةَ

زار عبد الرحمن بن غَنَمَ أبا الدرداء بمحصر ، فكث عنده ليالي ، فأمر بحماره فأوكف له^(٢) . فقال أبو الدرداء : لأراني إلا مشيعك . فأمر بحماره فأسرج ، فسارا جميعاً على حماليهما ، فلقيهما رجلاً شهد الجمعة بالأمس عند معاوية في الجابية ، فعرفهما الرجل ولم يعرفاه ، فأخبرهما خبر الناس ، ثم إن الرجل قال : وخبر آخر كرهت أن أخبركما ، أراكما تكرهانه ، فقال أبو الدرداء : فلعل أبا ذر توفي ؟ قال : نعم والله ، فاسترجع أبو الدرداء وصاحبه قريباً من عشر مرات . ثم قال أبو الدرداء : ﴿ [ف] مَارْتَقِيَهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴾^(٣) كما قيل لأصحاب الناقة ، اللهم ، إن كذبوا أبا ذر فإني لأكذِّبه ، وإن اتهموه فإني لأتهمه ، وإن استغشوه فإني لأستغشه ، فإن رسول الله ﷺ كان يَأْتِمُنُهُ حين لا يَأْتِمُنُ أحداً ، ويسر إليه

(١) ما بين حاصرتين ليس في الأصل .

(٢) أي وضع عليه الوكاف . اللسان : وكف .

(٣) سورة القمر : ٢٧/٥٤ وما بين حاصرتين ليس في الأصل .

حين لا يسر إلى أحد ، أما والذي نفس أبي الدرداء بيده لو أن أبا ذر قطع يميني ما أبغضته
بعد الذي سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما أظلت الحضراء ولا أقلت القبراء من ذي لهجة
أصدق من أبي ذر .

٢٢٠ - رجل مرّ بأبي الدرداء

وهو يفرس غرساً بدمشق فقال له : أتفعل هذا وأنت صاحب رسول الله ﷺ ؟ !
قال : لا تعجل علي ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : من غرس غرساً لم يأكل منه آدمي ، ولا
خلق من خلق الله ، إلا كان له صدقة .

٢٢١ - مولى لأبي الدرداء [١٧٧ / آ]

قال : سمعت أبا الدرداء وهو يوصي حبيب بن مسلمة فقال : إياك ودعوة المظلوم ،
فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن العبد إذا ظلم فلم ينتصر ، ولم يكن له من ينصره ،
فرفع طرفه إلى السماء ، فدعا الله فلباه ، فقال : لبيك ، وإن الله يلبيه ويقول : يا عبدي
أنا أنتصر لك عاجلاً وأجلاً .

٢٢٢ - رجل من الأنصار

دق رجل من قريش من رجل من الأنصار ، فاستعدى معاوية ، فقال الأنصاري
لمعاوية : إن هذا دق سني ، فقال معاوية : كلاً ، إنا سرضيك . قال : وألح الآخر على
معاوية ، أكب عليه حتى أبرمه ، فقال له : شأنك بصاحبك . وأبو الدرداء جالس عند
معاوية ، فقال أبو الدرداء : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من رجل يصاب بشيء من
جسده ، فيتصدق به إلا رَفَعَهُ الله عز وجل درجة ، وخطَّ عنه بها خطيئة . قال الأنصاري
لأبي الدرداء : أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، سمعته أذناي ووعاه قلبي .
فقال الأنصاري : فإني أدعه لله عز وجل . فقال معاوية : لا جرم والله لا تخيب . فأمر له
بمال .

قال : دخلت مسجد دمشق ولم أوافق فيه أحداً ، فصلّيت ركعتين ثم قلت : اللهم آمن وحدتي ، وأنس وحشتي - وفي آخر - وارحم غربي ، وأنسني بجليس صالح تنفعي به . إذ دخل رجل فصلّى ركعتين ثم جلس إليّ ، فإذا هو رجل له هيئة ، فأخبرته بدعوتي فقال : والله ، يا ابن أخي لئن كنت صادقاً لأنا أسرّ بدعوتك منك ، وإن كنت ذلك الرجل الذي سألت لأحدثنك حديثاً ما حدثته أحداً قبلك ، ولا أحدث به أحداً بعدك ، عسى الله أن ينفعك به . سمعت رسول الله ﷺ ، وقرأ : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا ﴾^(١) الآية . قال : فأما السابق فيدخل الجنة بغير حساب ، وأما المقتصد [٩٧/ب] فيحاسب حساباً يسيراً ، ثم يدخله الله الجنة برحمته ، وأما الظالم لنفسه فأولئك الذين يوقفون يوم القيامة موقفاً كريهاً ، حتى ينال منهم ، ثم يطلقهم الله برحمته ، فهم الذين قالوا ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾^(٢) الآية . قال : فهو حزن ذلك اليوم وذلك الموقف . قال الرجل : فقلت : من أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا أبو الدرداء .

وفي آخر بمعناه : ويحيى الظالم ، فيحبس حتى يصيبه كظ العذاب ، وسوء الحساب ، ثم يدخل الجنة .

٢٢٤ - رجل من دمشق

حدث عن عوف بن مالك ، عن أبي ذر أنه جلس إلى رسول الله ﷺ ، أو جلس رسول الله ﷺ في المسجد فقال له : يا أبا ذر ، هل صليت الضحى - أو الضحاء - ؟ قال : لا . قال : قم فصلّ ركعتين . فقام ، فصلّى ثم جلس . فقال له : يا أبا ذر ، نعوذ بالله من شياطين الإنس . قال : قلت : يا رسول الله ، هل للإنس شياطين ؟ ! قال : نعم . قال : يا أبا ذر ، ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ قال : قلت : نعم . قال : قلت : ما هو ؟ قال : لا حول ولا قوة إلا بالله . قال : قلت : يا رسول الله ، فالصلاة ؟ قال : خير موضوع ، فمن شاء استقل ، ومن شاء استكثر . قال : فالصوم ؟ قال : فرض مجزئ . قال : فالصدقة ؟ قال : أضعاف مضاعفة ،

(١) سورة فاطر : ٢٢/٣٥

(٢) سورة فاطر : ٢٤/٣٥

وعند الله المزيّد . قال : قلت : فأَي الصدقة أفضل ؟ قال : جهد المقلّ أوسر إلى فقير . قال : قلت : فأَيما أنزل آية عليك أعظم ؟ قال : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ ^(١) حتى فرغ من الآية . قال : قلت : كم المرسلون ؟ قال : ثلاث مئة وخمسة عشر رجلاً غفيراً . قال : قلت : فأدم كان نبياً ؟ قال : نعم مكلّماً . قال : ثم ؟ قال : أبخل الناس من ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ .

صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

٢٢٥ - رجل حدّث عن عائشة

قالت : أصبحت أنا وحفصة صائتين ، فأهدي لنا طعام فأكلنا منه . قالت عائشة : فدخل علينا رسول الله ﷺ فبدرتني حفصة [٩٨/أ] - وكانت ابنة أبيها - فقالت : يا رسول الله ، أصبحت أنا وعائشة صائتين ، فأهدي لنا طعام ، فأكلنا منه . قالت : فتبسم رسول الله ﷺ وقال : صوما يوماً مكانه .

٢٢٦ - شيوخ من بني عَنَس

حدّثوا أنهم لما كانوا بصفّين ، أتوا جبل الجوديّ ينظرون إلى موضع السفينة منه . قال : فبينما نحن ننظر إلى آثارها ، وما بقي من حديدتها ، إذا نحن بأبي هريرة ينظر إلى ما نظرنا ^(٢) إليه منها ، فسلمنا عليه ، فردّ السّلام . فقلنا له : أخبرنا عن هذه الفتنّة التي نحن فيها . فقال : أما إنكم ستنصرون فيها على عدوّكم ، ثم سكت وسكتنا . فقال : مالكم لا تسألوني ؟ فقلنا : أخبرنا . فقال : أما إنها ستكون بعدها فتن ما هذه عندها إلّا كالماء بالعسل تتركّم وأنتم قليل نادمون ^(٣) ، ولتنزّلن فارس أرضها ، يضطرب نساها بين لعل ^(٤) وبارق ^(٥) ولتنزّلن الروم أرضها آمنّة يضطرب نساها ، ولتخرجنكم من الشام كُفراً كُفراً ^(٦)

(١) سورة البقرة ٢/٢٥٥

(٢) في الأصل : ماناظرنا ، وللتبث من تاريخ ابن عساكر س : ١٥٥/١٩ أ .

(٣) في الأصل : نادمين .

(٤) لعله منزل بين البصرة والكوفة : انظر معجم البلدان : ١٨/٥

(٥) مواضع كثيرة ، أشهرها ماء بالعراق ، هي الحد بين القادسية إلى البصرة من أعمال الكوفة . معجم

البلدان : ٣١٩/١

(٦) أي قرية قرية : النهاية : كفر .

إلى سُنْبُكَ^(١) من الأرض يقال له حِشْتَى جَذَام^(٢) .

٢٢٧ - رجل من دِمَشْق

قال إبراهيم بن عبد الرحمن بن عَوْف أنه قدم على معاوية في خلافته : فدخلت المقصورة فجلست ، فقال لي رجل : من أنت يافتي ؟ قلت : أنا إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف . قال : يرحم الله أباك ، أخبرني فلان - لرجل سماه - أنه قال : لألحقن بأصحاب رسول الله ﷺ فلا أحدثن بهم عهداً ولا كلمتهم . فقدمت المدينة في خلافة عثمان بن عفان ، فلقيتهم إلا عبد الرحمن بن عوف ، أخبرت أنه بأرض له بالجُرُف^(٣) ، فركبت إليه ، فإذا هو واضع رداءه ، يحول الماء بمِسْحَاة^(٤) في يده ، فلما رأيته استحياني وألقى المِسْحَاة ، وأخذ رداءه ، فسلمت عليه وقلت له : جئتكم لأمر وقد رأيته أعجب منه ، هل جاءكم إلا ما جاءنا ؟ وهل علمتم إلا ما قد علمنا ؟ فقال عبد الرحمن : لم يأتنا إلا ما قد جاءكم ، ولم نعلم إلا ما قد علمتم . قال : قلت : فإلنا نزهد في الدنيا وترغبون ، [١٨٨ ب] ونخف في الجهاد وتتأقلون ، وأنتم سلفنا وخيارنا وأصحاب نبينا ﷺ ؟ فقال عبد الرحمن : لم يأتنا إلا ما قد جاءكم ، ولم نعلم إلا ما قد علمتم ، ولكننا بلينا بالضراء فصبنا ، وبلينا بالسرء فلم نصبر .

٢٢٨ - رجل من دِمَشْق

حدث عن عبد الله بن همر أنه قال : إن رسول الله ﷺ كان يقول :
من قال هذه الكلمات ، ودعا بهن ، فرج الله همّه ، وأذهب حزنه ، وأطال سروره .
أن يقول : اللهم ، إني عبدك وابن عبدك ، ابن أمتك وفي قبضتك ، ناصيتي في يدك ، ماضٍ في حكمك ، عدل في قضاؤك ، أسألك بأحب أسمائك إليك ، وباسمك الذي سميت به

(١) أي طرف . شبه الأرض في غلظتها بسنبل الدابة ، وهو طرف حافرها . النهاية : سنبل .

(٢) جبال وأرض بين أيلة وجانب تيه بني إسرائيل الذي يلي أيلة . معجم البلدان : ٢٥٨/٢ - ٢٥٩ .

(٣) موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام . معجم البلدان : ١٢٨/٢ .

(٤) هي المجرفة من حديد . اللسان : مسح .

نفسك ، وبكل اسم أنزلته في كتابك ، أو علّمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن نور صدري ، وريبع قلبي ، وجلاء حزني ، وزهاب همّي .

٢٢٩ - شيخ من دمشق

حدث عن أبي أمامة الباهلي قال :

كان رسول الله ﷺ إذا دخل في الصلاة من الليل كبر ثلاثاً ، وسبح ثلاثاً ، وهلل ثلاثاً ، ثم يقول : اللهم ، إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم ، من همزه ونفخه^(١) ، وشركه .

٢٣٠ - رجل من أهل دمشق

قال أبو غالب ، صاحب أبي أمامة :

كنت بدمشق ، ورجل ينشد المال ، ورجل من التجار معي فقال : لقد ذهب لي مالٌ مأمثله يرد . قلت : على ذاك لو أتيتناه فسلأناه . فأتيتناه فسلأناه فقال : قد وجدت مالا وهو في المنزل . فذهب بنا إلى منزله ، فلما نظر التاجر إلى خُرجه قال : مالي . فدفعه إليه . فقال صاحب المال : خذ منه ماشئت . قال : لأرزؤك منه شيئاً ، وماعندي عشاء ليلة ، ولقد كنت من مالي في غناء . قال : فإذا هو قد لف الخُرَج بشريط وطرحه على حجارة في البيت ، وكان المال أربعين ألف دينار . قال أبو غالب : [٩٩/أ] فقلت للتاجر : كيف كان أمر مالك ؟ قال : أتيت باب الفَرَمَا فخشيت من العُشَّارين ، فوضعت الخُرَج على حمار ، وخليت سبيله ، فانطلق الحمار فلم أجده .

٢٣١ - رجل رَحْبِي من الرَّحْبَةِ^(٢)

حدّث أنه قعد في حلقة بدمشق فيها واثلة بن الأسقع اللَّيْثِي فحدّث القوم ، فلما أرادوا أن يتفرقوا أخذوا في عيب عليّ حتى وصل ذلك إلى ذلك الرجل ، وكان آخر من أراد

(١) النفخ : الكِبَر . اللسان : نفخ .

(٢) بلدة على الفرات بين الرقة وبغداد . انظر معجم البلدان ٣/٣٤٤

القيام ، فتناوله واثلة بثوبه فأقعدته . فقال له : أتعرف علياً ، هل رأيته ؟ قال : لا . قال : أفلا أحدثك عن عليٍّ ؟ قال : بلى . قال : أتيت علياً أطلبه في منزله فلم أصبه ، فاستجابت لي فاطمة بنت رسول الله ﷺ فقالت : مَنْ تريد ؟ قلت : أبا حسن . قالت : السَّاعة يَأْتِيكَ من هذه الناحية . قال : فجاء عليٌّ والنبي ﷺ معه ، يتوكأ عليه ، فدخل على فاطمة وحسن وحسين ، ثم دعا بِمِرْطٍ^(١) فغشاهم به ثم قال : اللهم ، هؤلاء أهلي ثم قال : ﴿ إِنَّا يَرْيَدُ اللَّهُ لِيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ، وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾^(٢) قال : قلت : يا رسول الله ، وأنا فاجعني مِنْ أَهْلِكَ . قال : وأنت . قال : فوالله ، ما عندي شيء أرجى عندي منها .

٢٣٢ - رجل مِنْ حَجُّور^(٣)

حَدَّثَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ :
سمعت أنس بن مالك يقول وسأله الوليد بن عبد الملك بدير المَرَّان^(٤) : حَدَّثَنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الإيمان يمان إلى هذين الحيين ، لَحْمٍ وَجَذَامٍ ، وإن الكفر والجفاء في هذين الحيين : ربيعة ومَضَرَ . قال الوليد : قد سمعتُ هذا ، فحدثني غيره ، فصمت أنس .

٢٣٣ - شيخ كبير من أهل دمشق

[٩٩/ب] كان في عصر الصَّحابة .

قال جِبَّان بن زيد :
نفرنا مع صفوان بن عمرو - وكان والياً على حمص قبل الأفسون^(٥) - إلى الجراجمة ،

(١) كساء من خز أو صوف أو كتان . اللسان : مرط .

(٢) سورة الأحزاب : ٣٣/٣٢

(٣) بطن من همدان . انظر الباب : ٢٨٢/١

(٤) كان قرب دمشق . معجم البلدان : ٥٣٣/٢

(٥) كذا في الأصل ولم أعرفه .

فلقيت شيخاً كبيراً من أهل دمشق على رحالة - قد سقط حاجباه على عينيه - فبين أغاث فسلمت عليه وقلت : ياعم ، لقد أعذر الله إليك ، فرجع حاجبيه فقال : يا بن أخي ، إن الله استغفرنا خِفافاً وثِقَلاً ، إنه من يحبه الله يبتليه ثم يعينه فيقتنيه ، إنما يبتلي الله من عباده من صبر وشكر وذكر ، ولم يعبد إلا الله .

٢٣٤ - حَرَبِيٌّ لِمَعَاوِيَةَ

قال : عرِضت على معاوية خيل ، فقال لرجل من الأنصار يقال له ابن الحنظلية : يا بن الحنظلية ، ماذا سمعت رسول الله ﷺ يقول في الخيل ؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَصَاحِبُهَا مَعَانٍ عَلَيْهَا ، وَالْمُنْفِقُ عَلَيْهَا كَالْبَاسِطِ يَدَهُ بِالصَّدَقَةِ لَا يَقْبِضُهَا .

٢٣٥ - شَابٌّ مِنْ قَرِيْشٍ

قال الأصمعي :

خرجت ابنة معاوية صبية ، وجماعة من قريش جلوس . فقال شاب من قريش : ما أكبر عجيزتها ! فدخلت إلى معاوية تبكي . فقال : ما يبكيك ؟ قالت : سفل بي أحد القوم الذين بالباب . فخرج عليهم معاوية وهو مُغْضَبٌ فقال : أيكم سفل بالصبيّة ؟ فسكت القوم . فأعادها . فقال الشاب : أنا مازحتها يا أمير المؤمنين . فقال معاوية : أما والله لقد رأيت أمك وهي تضرب بصحنها فتؤذي جلسها وما نظرت نفسها ، وإني لأعلم قريش بقريش . فقال له الرجل : مهلاً فوالله إني لأعلم قريش بقريش . فقال معاوية : واحدة بواحدة ، ولكم جوائزكم .

٢٣٦ - رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ

وفد على معاوية ، كانت امرأته قالت له هي وبناته : لو أتيت أمير المؤمنين فسألته وأخبرته بما لك ، لعل الله يرزقك منه شيئاً . فقال : ليس بيدي شيء . فباعوا [١٠٠ /] متاعاً لهم ، وتجهّز إلى معاوية ، فدخل عليه وقد نَصِبَ في الطريق ، فرأى جماعة الناس

على معاوية ، فلم يقدر على كلامه ، فدار خلفه فقعده خلف السرير بين وسادتين ، فجعل يخفق برأسه لما لقي من العناء في طريقه . فقال ابن بُرَيْدَةَ^(١) : والشيخ إذا كان قاعداً كان أكثر نومه ، فنام ، وتفرَّق الناس عن معاوية لما أمسوا ، وخرج للمغرب ، ثم رجع فتعشى وخرج لصلاة العشاء ، والشيخ نائم لا يعلم ، حتى ذهب هَوِيٌّ^(٢) من الليل . فدخل معاوية إلى أهله فانتبه الشيخ لما أصابه برد الليل ، فإذا هو بالسُّرْج وليس في البيت غيره ، فقام فخرج إلى الدار ، فإذا الأبواب مغلقة ، فاسترجع وقال : إنا لله ، جئت أطلب الخير فالآن أؤخذ بظن أني جئت أغتال أمير المؤمنين . فطلب مكاناً يختبئ فيه إلى أن يصبح فلم يجد ، فدخل تحت سرير معاوية ، فلما ذهب هَوِيٌّ من الليل إذا معاوية أقبل ، شيخ ضخم البطن ، متوشح بملحفة حمراء ، حتى قعد على السرير ، والشيخ ينظر وهو يسترجع في نفسه : الآن أقتل . ثم قال معاوية : يا غلام ، انطلق إلى ابنة قرظة^(٣) فادعها ، فجاءت تمشي ومعها جوارى يسترنها حتى صعدت على السرير معه ، فطرب للجواري ، فكلَّهما معاوية ساعة ثم قال : عزمت عليك إلا نزلت فمشيت ، ورمى عنها ثيابها ، وبقيت في درع رقيق من قَزَّ يستبين منه جميع جسدها . فمشت فقال : أقبلي . فأقبلت . ثم قال : أدبري . فأدبرت . والشيخ ينظر ، ثم أقبلت ، فإذا هي بهريق عين الشيخ من تحت السرير . فصاحت وقالت : افتضحت . وقعدت وتقنعت بيديها . فقام معاوية إليها ، وقال : مالك ؟ فقالت : رجل تحت السرير . فأدخل معاوية يده ، فأخذ برأسه ، فإذا شعرات ، فجعل لا يقدر أن يقبض على شعره ، فلما علم أنه شيخ كبير تركه ، ولبست ابنة قرظة ثيابها وانطلقت إلى بيتها ، وخرج الشيخ إلى معاوية فقال : يا أمير المؤمنين لينفعني عندك الصدق . قال : هيه ، فقصَّ عليه القصة . فقال : لا بأس عليك ، وجعل معاوية يضحك ويسأله [١٠٠/ب] فإذا أعرابي مُنْكَرٌ^(٤) لا يسأله عن شيء إلا أخبره . فلما أصبح دعا معاوية خصياً له وقال : خذ بيد الشيخ إلى ابنة قرظة فقل لها : هذا الشيخ الذي تخلاكَ

(١) هو عبد الله بن بريدة راوي الخبر .

(٢) أي ساعة منه . اللسان : هوا .

(٣) هي فاختة بنت قرظة ، انظر ترجمتها في « تاريخ ابن عساكر » تراجم النساء .

(٤) أي داه : فطن . اللسان : نكر .

البارحة ، وللخُلوة نَحْلَة ، فأعطيه نَحْلته . فأخبرها فقالت للأعرابي : ماقصتك ؟ فقصَّ عليها القصة ، فأعطته وأوقرت راحلته ثياباً وغير ذلك وقالت له : لاتقمن في هذه البلاد ، فإن رآك أحد بها نكَّلت بك ، وخافت أن يقيم ، فكلما ذكره معاوية دعاه ، وذكر له ما كان . ثم قالت لغلام : انطلق فاحمله على الراحلة وما معه ، ثم اغسُ به حتى تخرجه مِنْ هذه الأرض . فانطلق الأعرابي وقد أصاب حاجته .

٢٣٧ - مَوْلى لشقيق أو ابن شقيق

من أهل البصرة .

كان بين شقيق بن عبد الله وبين عبد الله بن شقيق حِسٌّ^(١) فأخذ له زياد ساجاً^(٢) بثلاثين ألف درهم ، فبعث شقيق غلاماً إلى معاوية وقال : إن أتيتني منه بكتاب فأنت حر . فبلغ ذلك زياداً ، فأخذ بالرَّصَد ، فقطع النهر بالسباحة وأتى معاوية ، فأخذ منه كتاباً إلى زياد برَدَ ذلك المال ، وكان زياد بالكوفة ، وخليفته سَمْرَة بن جُنْدَب على البَصْرَة ، فلما قَدِمَ على زياد كتب له إلى سَمْرَة فقال : أصلحك الله ، عتقت مرتين ، ولم أعتق . قال : وكيف ذلك ؟ قال : أعتقني مولاي ، وأعتقني أمير المؤمنين ، وأقدم على سَمْرَة فيقتلني . قال : أما والله إن كنت لأرجو أن أشتفي منك . قال : فكتب له إلى سَمْرَة . فلما قدم زياد خيرَه شقيق أو ابن شقيق [بين]^(٣) ثلاثين ألفاً وبين أنية من فِضَّة ، فاختار الأنية . قال : فقدم تجار مِنْ دَارين^(٤) فباعهم إياها بالعشرة ثلاثة عشر ، ثم لقي أبا بكره فقال : ألم تر كيف غَبَّتهم ؟ قال : وكيف ؟ فذكر ذلك له . قال : أقسمت لتردَّنها ، فياني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن مثل هذا .

(١) أي شر . اللسان : حَس .

(٢) في الأصل : ساج ، والساج : الطليسان . اللسان : سوج .

(٣) ما بين حاصرتين ليس في الأصل ، ولثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٥٧/١٩ أ .

(٤) فِرْضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند . معجم البلدان . والفِرْضة : عَط السفن . اللسان : فرض .

٢٣٨ - شيخ كان يُشَبَّه برسول الله ﷺ

كان معاوية يقوم لشيخ في منزله إذا دخل عليه [١٠١/أ] ، فقيل له : أتقوم لهذا الشيخ ، وأنت أمير المؤمنين ؟ ! قال : نعم ، لأني رأيت فيه مشابهاً من رسول الله ﷺ ، فأنا أقوم لذلك لاله .

قال : وهذا الرجل هو كابس بن ربيعة ، وهو في حرف الكاف .

٢٣٩ - رجل قاص

من أهل الأزدن .

قال أبو عبيد الله :

كنا مع معاوية بالجابية ، وكان يخرج إليها إبان العُشْب ، وفينا رجل يقص علينا من أهل الأزدن ، إذ قام رجل من ناحية الناس فقال : ألا أخبركم بكليم يهتزلها عرش الرحمن وشجر الجنة ؟ قلنا : بلى . قال : لاله إلا الله وحده لا شريك له ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير . يهتزلها عرش الرحمن وشجر الجنة . ثم قال في إثر ذلك : سبحان الله وبحمده ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي الكبير ، أعوذ بوجه الله الكريم من عذابه الأليم .

٢٤٠ - رجل من تميم الله بن ثعلبة

أوفد زياد إلى معاوية وفداً من أهل البصرة ، فيهم رجل من بني تميم الله بن ثعلبة من بكر بن وائل ، فلما دخلوا على معاوية قام التيمي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إن السامع المطيع لاحجة عليه ، وإن السامع العاصي لاحجة عليه^(١) ، وإن الله إذا أراد بقوم خيراً ولي أمرهم علماءهم ، وقضى بينهم فقهاؤهم ، وجعل الأموال في سَعَائِهِمْ ، وإذا أراد بقوم سوءاً ، ولي أمرهم سفاؤهم ، وقضى في الأحكام جهلاؤهم ، وجعل الأموال في بخلائهم . فأخفظ معاوية . ثم دعا له على رؤوس الناس بمطية جريئة . فقال : خذها يا أبا بني تميم^(٢) ، أنجيل لنا ؟ فقال : سبحان الله ، إذا لم تكن بخيلاً فأخاف أن تكون

(١) في هامش الأصل حرف (ط) .

(٢) في الأصل : تميم ، وهو تصحيف .

مبذراً ، أو لكل الناس أعطيتَ كما أعطيتني ؟ قال : لا ، ولا يمكن هذا . فقال التيمي : فاجعل^(١) نصيبي في هذا الفيء أكثر من نصيب رجل من المسلمين . ففرّق معاوية في ذلك الوفد مالاً عظيماً ، وأمرهم بالشخص إلى بلدهم ، وكتب إلى زياد : لاتزال توجه إليّ الرجل بعد الرجل فيقف بين يدي مؤثباً ، أوّلى لك^(٢) ، فلما قرأ زياد الكتاب [١٠١/ب] قال : عليّ نذر لأصلبن التيمي على أربع جذوع . ثم جعل ينتظر قدومه يوماً يوماً ، ويعد له المراحل حتى انتهى التيمي إلى بعض المنازل ، فات به . وبلغ زياداً موته ، فبعث إلى ابن أخ له من أهل البصرة فقال : عمّك الحرّوري يؤثّب أمير المؤمنين ؟ ! فقال التيمي : أيها الأمير ما استأمرتني فيه حين أردت توجيهه ، ولا ضمنت لك سقطته إن جاءت على لسانه ، ولقد انتخبته بعلمك واختره برأيك ، فإن جاءتك فلا عليك بل على نفسه ، وبعد ، فهما كنت صانعاً به - أيها الأمير - لو ظفرت به ، أهو أكثر من أن تقتله ؟ فقد قتله الله وكفأك أمره . فقال زياد : يأسلم ، انطلق به فاحتبس الليله حتى ينكلّ به غداً على رؤوس الناس . فدفعه سلّم إلى غلام له فقال : امض به إلى الحبس . فضى به الغلام ، فلما كانوا في بعض الطريق أفلته الفقى وفرّ هارباً وأنشأ يقول : [من الطويل]

وأيقنت أني إن تلبثت ساعة	على باب سلّم سار جسي إلى قبري
جميعاً وشتى مُدْرَجاً في عباءة	فرأسي بعيّد وهو أقرب من شبر
وجاء البخاريون يبتدرونني	عيون لهم خزرتوقد كالجمر
عكوف على الأبواب من يؤمروا به	فليس براء أهلّه آخر الدهر
عشية يدعوهم دويد ومن يجب	دويداً فقد لاق العظم من الأمر
ولله أيام آتين ثلاثه	غلبن علينا القوم من كل ذي صبر
تحدر فيهن المنايا تحدرأ	كأن دماء القوم من راحهم تجري

وكان زياد تواعد الناس بالقتل في ثلاثة أيام ، فقتل منهم خلقاً كثيراً ، ودويد هذا رجل كان من البخاريين على عذاب زياد .

(١) كذا في الأصل ولعلها : فلا تجعل .

(٢) أي ويل لك .

٢٤١ - رَجُلٌ مِنْ كَلْبٍ

قتل رجل من الشَّام امرأته ، فأخذه^(١) والدها فرفعوه إلى معاوية فلم يدر ما يقول فيها ، فأرسل أعرابياً من كلب إلى عليٍّ فأخبره خبرها فقال : إن شاء أهل المرأة أدوا إلى الرجل ديتة ثم قتلوه ، وإن أحبوا أخذوا من القاتل نصف الدِّية ، وإنما هما امرأتان برجل .

٢٤٢ - رجل شاعرٍ مِنْ كَلْبٍ

[١٠٢ / آ]

أجرى معاوية الخيل وفيها فرس يقال له سالم ، فقال معاوية : [من الوافر]
رأيت لــــالم خيراً وشرّاً فــــلا أدري لأيهما يصير
فقال رجل من كلب من البادية ، وكان له فرس في الحلبة يقال له المستنير : ائذن لي يا أمير المؤمنين أجبتك ، وأعطني الأمان . قال : فعلت . فقال له الأعرابي :
تصير إلى التي أشفقت منها إذا ما قيل جاء المستنير
فجاء فرس الأعرابي سابقاً . فقال له معاوية : يا أعرابي ، لقد جئت بفأل له شأن . فأعطاه سبقة أربعة آلاف درهم .

٢٤٣ - رجلٌ مِنَ المَعَمَّرِينَ

من أهل نَجْران .

قَدِمَ على معاوية رجل من نَجْران ، يقولون : له يوم قدم عليه مئتا سنة . فسأله عن الدنيا فقال : سنيت بلاء ، وسنيت رخاء ، يوم فيوم ، وليلة فليلة ، يولد مولود ، ويهلك هالك ، فولد المولد بآء الخلق ، ولولا الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها ، فقال له : سل . فقال : عمر مضي فترده وأجل حضر فتدفعه . قال : لا أملك ذلك ، قال : لا حاجة لي إليك . ثم قال : [من البسيط]

(١) في الأصل : فأخذها ، وثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٥٨/١٩ آ

استرزق الله خيراً وأرضين به فبينما العُسر إذ دارت مياسير
وبينما المرء في الأحياء مُغتبطٌ إذ صار رُمساً تعفيه الأعاصير
كأنه لم يكن إلا لتذكرة والدَّهرُ أهلكنا منه الدَّهَارير^(١)

٢٤٤ - رجل شابٌ من غَسَّان

قال الشُّعبي : كان أول من سَمَرَ من الخلفاء ، وأُتخذ له أقوام معاوية ، وكان ملك الروم في زمانه فوق بن مورك بن هرقل بن قيصر بن فوق بن مورك بن الأصفر ، وكان معاوية يقول : ما أردت في الشام شيئاً قط إلا ظننت أنه معي ، وكان ملك الروم يقول مثل ذلك . فسر معاوية ليلة ثم أوى إلى فراشه فأرق فامتنع منه النوم [١٠٢ ب] فأراد أنه فلم يستطعه حتى أسحر ، فسمع أصوات النواقيس فأذته ، فلم يزل يتلملح حتى أصبح ، فلما صلى الفجر وجلس أمر منادياً فنادى : من يبيعني نفسه ؟ فقال شابٌ من غَسَّان : أنا يا أمير المؤمنين . قال : بكم ؟ قال : ثلاث ديات : دية لي ، ودية أخلفها لأهلي ، ودية أشتري لهم بها ضيعة . فأعطاه أربعة آلاف دينار ، ثم قال : قد أجلتك ثلاثاً فتهياً وافرغ من حوائجك ثم ائتني . ففعل ، فإذا كتاب بين يدي معاوية إلى ملك الروم فقال : انطلق بهذا إلى ملك الروم ، فتدخل عليه وهو جالس على سريره وبطارقته حَوْلَه وتاجه على رأسه ، فإذا عاينته فضع كتابك وأدخل أصبعيك في أذنيك ، فأذن وقل : الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، حتى تفرغ . فخرج الغَسَّاني حتى دخل عليه ، وتاجه على رأسه ، وبطارقته عنده ، فوضع الكتاب ورفع صوته بالأذان ، فانتضوا سيوفهم وأقبلوا نحوه ، فوثب عن سريره يخصر حتى حال بينهم وبينه . قال : فاستدبرني واستقبلهم ثم قال : أفٍ لكم ، كنت أظنه يقاس برأيكم فإذا رأيكم قد عجز عنكم ، ارجعوا ، فما رجعوا إلا بعد شر ، فلما رجعوا إلى مجالسهم قال : أتدرون ما قصة هذا ؟ قالوا : لا . قال : تجدون معاوية أرق فسمع أصوات النواقيس فأذته ، وقد علم أن النصارى بالشام لهم أنصاف منازل

(١) الدهارير : أول الدهر في الزمان الماضي ، وقولهم : دهر دهارير أي شديد كقولهم ليلة ليلاء . والآيات في اللسان : (دهر) مع اختلاف في اللفظ . وقد نسبت إلى لَيْثِ بْنِ لَبِيدٍ الْعُدْرِي . وقيل : لحرث بن جبلة الْعُدْرِي .

المسلمين ، وأنصاف مساجدهم ، وقد عاهدهم على ذلك مَنْ هو أفضل منه من أهل دينه ، فلم يستطع نقضه فقال : من يبيعني نفسه ، فتجدون هذا البائس انتدب لذلك ، ولم يأخذ لنفسه غنماً ؟ فوجهه وأمره بما سمعتم لتستحلوا قتله ويستحل هو بذلك قتل مَنْ بالشام مِنَ النصارى ، وهدم كنائسهم . قال العسائي : والله ما علمت ما أراد بي معاوية إلا تلك الساعة . قالوا : أيها الملك ، ما تصنع به ؟ قال : نحسن جائزته ، ونرد جواب كتبه ، فما أتت على معاوية إلا ثمانية وأربعون ليلة حتى عاد العسائي ، فلما رآه معاوية قال [١٠٣/١] : أفلت وأنقص الذنب^(١) . قال : يا أمير المؤمنين ، عرضتني للقتل . قال : أما والذي لا إله إلا هو ، لو قتلك ما تركت فيها بين العريش إلى الفرات نصرانياً إلا قتلته ، ولا كنيسة إلا هدمتها ، ولكن اللعين كان أوفى بالذمة .

٢٤٥ - رجل يُقَبُّ أُمَّ عَمَّار

خَطَبَ معاوية - وهو خليفة - فقال في خطبته ، ولم يَمُ البيت لأنه كان على المنبر :
[من الطويل]

إِذِ النَّاسِ نَاسَ وَالزَّيْمَانُ بِغَيْرَةٍ^(٢)

وأعاده ولم يتم البيت ، فظن بعض العامة أنه أشكل عليه البيت ، وأنه يريد من يتمه له . فقام وقال :

وَإِذَا أُمُّ عَمَّارٍ صَدِيقُ مُسَاعِفٍ

فقال له : اسكت يا أم عَمَّار ، ما أردنا هذا منك .

قال : فبقي عليه لقباً ، فكان إذا مر بالصبيان صاحوا : يا أم عمار يا أم عمار ، حتى رُمي بالآجر .

(١) مثل يضرب لمن أشفى على الهلاك ثم نجى . انظر اللسان : حصص . وفيه أفلت ، وهو وم ، ومع

الأمثال : ٧٠/٢ ، والمستقصى : ٢٧٤/١

(٢) البيت لأوس بن حجر ، وهو في ديوانه : ٧٤ . وفيه : بعزة . وفي اللسان : (سغف) بغيرة . وأثبتها لأنها

أعلى .

جرت له محاوره مع معاوية ، وحلّم عنه .

خطب معاوية يوماً فقال : إن عاملاً لي^(١) بمكان كذا كتب إليّ يذكر أن بني قشِير كان منهم إليه أمر ، لهممت أن أجد من كان منهم في البر فأحمله في البحر في السفن ، ثم أحرقها عليهم فلا أبقى منهم أحداً . فقام إليه أعرابي ، عليه عباءة يرفعها من جانب ، وتسقط من آخر فقال : يا معاوية ، أما والله لو أردت ذلك لجاءك مئة ألف أمرد على مئة ألف أجرد فجعلوا صدرك ترسة^(٢) لرماحهم فقال : اسكت أيّها الغراب الأبقع^(٣) . قال : إن الغراب الأبقع يجعل إلى الرّخمة البيضاء فينقر رأسها ، ويستخرج دماغها ، فيأكله . فأعرض عنه معاوية وأخذ في خطبته ، فقال له عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين ، ماهذه الاستكانة ؟ ! أما رأيت ما قال لك ؟ ! قال : يا أبا عبد الله ، لنخلين بينهم وبين ألسنتهم ما خلّوا بيننا وبين ملكنا .

٢٤٧ - رجل من كِنانة

له محاوره مع معاوية .

[١٠٣/ب] خطب معاوية بن أبي سفيان فقال :

أيها الناس ، إن أمير المؤمنين عثمان ولآتي بعض ما ولاه الله عليه ، فوالله ما خنت ، ثم وليت الأمر فيما بيني وبين الله عز وجل ، فهل ترون خللاً ؟ فوثب رجل من كِنانة أو من بكر بن وائل فقال : نعم يا معاوية خللاً كخلل المُنخُل . فقال : اقعد ، أقعد الله رجلك . كَأني بك وقد ارتبطت عشرة أعز في مثل حافر غير معهن تيس تحتلبن^(٤) قال :

(١) في الأصل : له . والمثبت من تاريخ ابن عساکر : ١٥٧/١٩ أ .

(٢) جمع ترس . اللسان : ترس .

(٣) فيه سواد وبياض . اللسان : بقع .

(٤) كذا في الأصل ، وفي تهذيب ابن عساکر : ٢١٦/٦ . كَأني أنظر إلى خفش بيتك بهيمة مربوطاً بطنّب منه

تيس ، ويطنّب منه بهيمة ، تخفق فيه الريح بمثل جناح النسر ، بفنائله أعز غير درهن قليل ، تحلبهن في مثل فوارة

حافر حمار . وانظر غريب الحديث للخطابي : ٥٢٨/٢ - ٥٢٩

والله ، إن قلت ذلك ، إن نَمَّ حسباً غير ذميم ، والله ما قتلْت نفسك حراماً ولا أكلْت مالا حراماً . قال : وأنتى لك أن تقتل نفسك حراماً أو تأكل مالا حراماً ، أنت أذل وأخزى من ذلك ، اسكت ، دقَّ الله فاك . قال : لا ، بل أذهب حيث لأرى شخصك ولا أسمع صوتك . قال : أبعد وأبعد . قال : لكن طرت بك لأطيرنَّ بك طيرة بعيداً وقوعها . قال الأعرابي : فهل إلا إلى الله ثم تقع يا معاوية ، وأنا أستغفر الله .

٢٤٨ - رَجُلٌ لَقِيَ الْخَضِرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

خرج رجل إلى معاوية ، فلقي الخَضِرَ فقال له : لملك تريد هذا الرجل ؟ قال : نعم . قال : فإذا أردت الدخول عليه فتوضاً ثم صَلِّ ركعتين ثم قل : اللهم اجْعَلْ بدؤي يومي هذا صلاحاً ، وأوسطه فلاحاً ، وآخره نجاحاً ، وأسألك باسمك الأحد الكبير المتعال : ثم سَلِّ حاجتك .

فدخل الرَّجُلُ على معاوية ، ونسي أن يصنع ما أمر به ، فلم يلتفت إليه معاوية ، فلما كان بَعْدُ صنع الذي أمر به . فقال معاوية : سَحَرْتَنِي والذي نفسي بيده ، لقد جُئْتَنِي وما أريد أن أعطيك شيئاً . فأخبره بالذي قيل له . فأعطاه وأحسن إليه .

٢٤٩ - رَجُلٌ أَقَامَ بَبَابَ مُعَاوِيَةَ

وطال مُقَامُهُ ثم أذن له فقال : يا أمير المؤمنين ، انقطعت إليك بالأمل ، واحتملت جفوتك بالصَّبْر ، وليس لمقرب أن يأمن ولا لمبعد أن يأنس^(١) ، وكلُّ صائر إلى حظهِ من [١٠٤/١] رزق الله عَزَّ وجل . فقال معاوية : هذا كلام له ما بعده ، فأمر بعمده له إلى فلسطين . فقال الرجل : [من الوافر]

دخلت على معاوية بن حَرْب	وكنت وقد يئست من الدخول
وما أدركت ما أمَلْتُ حق	حللت عملة الرجل الذليل

(١) كذا في الأصل ، ولعلها يأنس .

وأغضيتُ العيون على قذاها ولم أنظر إلى قال وقيل

٢٥٠ - رجل من كلب

دخل على معاوية فقال :

يا أمير المؤمنين ، إن لي في بيت مال المسلمين حقاً ولي رجم . فقال : أما ما ذكرت فيما لك في بيت مال المسلمين فقد عرفناه ، وأما رجمك فما هي ؟ قال : إن أم إلياس بن مضر كانت امرأة من كلب . فقال معاوية : وأبيك ، لقد متت برحم بعيدة . وعنده ابن عباس ، فقال : لا تقل ذلك يا أمير المؤمنين ، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : إن الله ليعذب على قطيعة الرّحم التي تلقاك إلى ثلاثين أباً ، فقال له : الله عليك ، لقد سمعته من رسول الله ﷺ ؟ قال : الله عليّ ، لقد سمعته من رسول الله ﷺ . قال : سل حاجتك . قال : مئة ألف أشتري بها داراً . قال : هي لك . قال : مئة ألف أقضي بها تجاراً . قال : هي لك . قال : مئة ألف أشتري بها عقاراً . قال : هي لك . قال ابن الأعرابي : يا أبة ، أبرمت أمير المؤمنين . قال : فنتف رأسه بيده ثم قال : اسكت ، إنما أمير المؤمنين كما قال خال بني جبار : [من الوافر]

نيل على جوانبه كأننا إذا ملنا نميل على أيينا
تقلبه لنخبر حالتيه فنخبر منها كرمأ ولينا

٢٥١ - رجل من همدان شاعر

كان لمعاوية فرس يقال له البشير قد سبق عليه سوابق أهل الشام ، فقيدت إليه في خلافة عثمان أفراس العرب في حلبة استعد لها معاوية ، وقدم رجل من مدد همدان ، فرأى الناس يحفلون^(١) نحو الحلبة . فقال لهم : ما هذا ؟ فأخبر فبادر [١٠٤/ب] إلى معاوية بفرس له يقال له المستطير ، قدم راكباً عليه من الين فقال : أيها الأمير ، قدمت الساعة من

(١) أي يجتمعون ويحتشدون . اللسان : حفل .

شَبَام^(١) على فرسي هذا ، وهو يعجبي ، فسمعتُ بهذه الحَلْبَةِ فأسرعت به . فقال له معاوية : فرسك مخبَل^(٢) وليس بمخبَل ، وهو بُعدُ نضي^(٣) وجي^(٤) . فقال : أُنشدُك الله يا ابن الكرام . فأمر بفرسه فحتم وأنفذ مع الخيل إلى المِقْوَس^(٥) [و]^(٦) قعد معاوية يتشَوَّف لها ثم أنشأ يقول : [من الوافر]

أخاف على البشير وأتقيّه فما أدري إلى ماذا يحور

فقال الهمداني : أتأذن لي في الجواب ؟ قال : هات . فقال : [من الوافر]

يحور إلى التي أرجو سناها إذا ما قيل هذا المستطير

فضحك معاوية وصاح الناس : الخيل . الخيل ، وطلع المستطير فرس الهمداني .

وكان معاوية جعل لمن سبق البشير أربعين أوقية ذهب وفريضة في الشرف ، وفرائض لعشرة رجال من قرابته أو عشيرته . فشاطر معاوية الهمداني في فريضته ووفر عليه السبق ، وفرائض عشرة من أهل بيته فقال الهمداني : [من الوافر]

ألا ليت الرياح إذا استطرت تبشر أهلنا كنفي شبام

بأن المستطير [أَهْلٌ]^(٧) يهوي أمام الخيل في جمع السنام

ولم يسكن وجاء بعد شهر وعشر سنين محتر الغلام

فأبت بسبقه وعلوت حدًّا على شرف الفرائض في الكرام

فبعث إليه معاوية ، فاشترى منه المستطير بألف دينار ، فسبق عليه العرب أيامه كلها .

(١) جبل عظيم بينه وبين صنعاء يوم وليلة : معجم البلدان : ٣١٨/٣

(٢) المخبل : الذي يمنعه وجمعه من الانبساط في المشي . اللسان : خبل .

(٣) أي هزبل . اللسان : نضا .

(٤) وجي الفرس ، وهو أن يجد وجعاً في حافره . اللسان : وجا .

(٥) المقوس : الحبل الذي تصف عليه الخيل عند السباق . اللسان : قوس .

(٦) ما بين حاصرتين من تاريخ ابن عساكر س : ١٦٠/١٩ آ .

(٧) ما بين حاصرتين يياض في الأصل ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٦٠/١٩ آ

٢٥٢ - رَجُلٌ اسْتَسْقَى بِهِ مَعَاوِيَةَ

خَرَجَ مَعَاوِيَةُ يَسْتَسْقِي فَجَعَلَ يَقُولُ : قُمْ يَا فُلَانُ ، قُمْ يَا فُلَانُ . فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ فِي قَرْيَةٍ كَذَا رَجُلًا مَجَابِ الدُّعَاةِ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَأَتَى عَلَى حِمَارِهِ وَهُوَ مُنْطَبِعٌ^(١) إِدَاوَةٌ لَهُ لَثَلَا تَأْتِي عَلَيْهِ حَالَةً إِلَّا وَهُوَ فِيهَا مُتَوَضِّعٌ . فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : أَرَدْنَا أَنْ تَسْتَسْقِيَ [١٠٥/أ] لَنَا . فَاسْتَمْغَاهُ فَلَمْ يَعْنِهِ ، فَأَتَى إِدَاوَتَهُ فَأَحْدَثَ وَضُوءًا وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، وَاسْتَسْقَى وَعَزَمَ عَلَى رَبِّهِ فَقَالَ : ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ . فَمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ إِلَّا الْمَطْرَ حَيْثُ يَصْلِي حَتَّى جَرَى الْمَاءُ مِنْ تَحْتِهِ . فَأَتَاهُ أَهْلُ قَرْيَتِهِ فَاحْتَمَلُوهُ . فَقَالَ : االلَّهُمَّ ، إِنَّ مَعَاوِيَةَ أَقَامَنِي مَقَامَ سُبُعَةَ وَرِيَاءَ ، فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ . فَقَبِضَ قَبْلَ الْجُمُعَةِ .

٢٥٣ - رَجُلٌ مِنْهُ وَلَدٌ خَلْفَ الْجُمُحِيِّ

كَانَ مَعَ مَعَاوِيَةَ بَصْفَيْنِ ، وَكَانَ فَارِسُ أَهْلِهَا ، وَالَّذِي رَدَّ الْأَشْتَرْنَ عَنْ مَعَاوِيَةَ بَعْدَمَا غَشِيَهُ .

دَخَلَ عَلَى مَعَاوِيَةَ فَقَالَ :

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّا تَرَكْنَا الْحَقَّ عِيَانًا ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَدْعُو إِلَيْهِ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَبَايَعْنَاكَ عَلَى مَا قَدْ عَلِمْتَ ، ثُمَّ طَاعَنْتَ عَنْكَ أَشَدَّ أَهْلِ الْعِرَاقِ بَعْدَ مَا غَشِيَكَ حَتَّى إِذَا نَلْتِ مَا رَجَوْتَ وَأَمَنْتِ مَا خِفْتَ ، جَعَلْتَ الدَّهْرَ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ : يَوْمًا لِسَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ، وَيَوْمًا لِمُرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، وَيَوْمًا لِعُمُرِ بْنِ الْعَاصِ ، وَيَوْمًا لِلْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ، وَصَرْنَا لَافِي عَيْرٍ وَلَا فِي نَفِيرٍ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ يَقُولُ : [مِنْ الطَّوِيلِ]

أُظِنَ قَرِيشًا بِأَعْفَى الْحَرْبِ مَرَّةً	عَلَيْكَ ابْنُ هَنْدٍ أَوْ تَجَرُّ الدَّوَاهِيَا
أَيُّومَ لِمُرْوَانَ وَيَوْمَ لِعُمُرِهِ	سَعِيدٌ وَيَوْمَ لِلْمَغِيرَةِ مَعَاوِيَا ؟
وَيَوْمَ لِعُمُرٍ وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ	وَقَدْ بَلَغْتَ مِنْهَا النُّفُوسَ التَّرَاقِيَا
أَتَنْسَى بِلَاتِي يَوْمَ صَفِينٍ وَالْقَنَا	رَوَاءَ وَكَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ صَوَادِيَا

(١) أَيُّ مَعْلُوقٍ . اللِّسَانُ : سَمَطٌ .

أتنسى بلائي يوم صفين والقننا
أو الأشر النخعي في مُرَجَحْنَةٍ
وطاعنت عنك الخيل حتى تبددت
تركنا علياً في صحاب محمد
فلما استقام الأمر من بعد ميله
دعوت الألى كانوا للملك آفة
رواء وكانت قبل ذاك صواديا
يمانبة يدعو ريساً^(١) يانيا
بَدَادِ بناتِ الماء أبصرن بازيا
وكان إلى خير الطريقة داعيا
وَرُحِز مَاتَحْشَى ونلت الأمانيا
وَحِلَّتْ مقامي حيةً وأفاعيا

فبعث إليه معاوية ، وعنده وجوه قريش فقال : يا بن أخي ، إني مثلت بين تركي
[١٠٥/ب] إِيَّاكَ وبين معاتبتك ، فوجدت معاتبتك أبقى لك ، وإيم الله ، مأخاف عليك
نفسي ولكني أخاف عليك من بَعْدِي ، فَإِنِّي رأيتك رحب الذراعين بمساءة عمل شديد التقحم
عليه ، فلتضق به دَرْعُكَ ، ولتقل عليّ تقحملك ، فإنك لست كلما شئت تجدد من يحمل
سفئك . فخرج الفقى من عنده وقد استحيا وارتدع . وأنشأ معاوية يقول : [من الطويل]

أيا من عذيري من لؤي بن غالب
فألي ذنب في لؤي بن غالب
وأني لبست الجـود والحلم فيهم
فأصبحت ماينفك صاحب سوءة
فإن أنا جازيت السفيه بذنبه
وإن أنا لم أجز السفيه بذنبه
فـوليتهم أذني وكانت سجيقي
فكم قائل إما هلكت لقومه
وإني لكم عـود^(٢) ذلول موقر
ألم أف عن أهل الذنوب وأعظمهم

ثم دعا بالفقى فعقد له على بعض كور الشام .

(١) الرئيس من الرجال : الشجاع والداية . اللسان : ريس .

(٢) العود : الجمل المسن وفيه بقية . اللسان : عود .

(٣) البيت مستدرك على هامش الأصل .

٢٥٤ - رَجُل

كان يَسْمُرُ عند معاوية ، فقال له ليلة : ألا أخبرك عن زوجتي ؟ قال : بلى . قال : ولدت إحداهما غلاماً ، والأخرى جارية ، فخرجت أم الغلام ترقصه وتقول : [من الرجز]

ياليته قد راح في الغزي على جـواد مشرف علي
فأب بالمغنم والسبي فألحق الفقير بالغني

فرَّدت ذلك حتى أغضبت أم الجارية ، فخرجت بابتنتها ترقصها وتقول : [من الرجز]

وما علي أن تكوني جارية تمشط رأسي وتكون الفالية
وترفع الفاضل من ردايه حتى إذا ما بلغت ثمانيه
زوجتها عتبه أو معاويه أصهار صدق ومهور غاليه

[١٠٦/أ] فضحك معاوية وقال : وأبيها ، إن عتبه ومعاوية عنها لمشغولان . وأمر

لها بأربعة آلاف .

٢٥٥ - رجل من بني عذرة

أذن معاوية للناس يوماً فدخل فيهم فتى من بني عذرة ، فوقف بين السماطين وقال :

[من الطويل]

مَعَاوِيَةَ يَا ذَا الْفَضْلِ وَالْحِلْمِ وَالْعَقْلِ وَذَا الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ وَالْجُودِ وَالْبَذْلِ
أَتَيْتَكَ لِمَا ضَاقَ فِي الْأَرْضِ مَذْهَبِي وَأَنْكَرْتَ مِمَّا قَدْ أَصَبْتُ^(١) بِهِ عَقْلِي
فَفَرَجْ - كَلَّاكَ اللَّهُ - عَنِّي فَإِنِّي لَقَيْتُ الَّذِي لَمْ يَلْقَهُ أَحَدٌ قَبْلِي
وَاخْذِلِي - هَذَاكَ اللَّهُ - حَقِّي مِنَ الَّذِي رَمَانِي بِسَهْمٍ كَانَ أَهْوَنَهُ قَتْلِي
وَكَنتُ أَرْجِي عَذْلَهُ إِذْ أَتَيْتُهُ فَأَكْثَرَ تَرْدَادِي مَعَ الْحَبْسِ وَالْكَبْلِ^(٢)
فَطَلَقْتَهَا مِنْ جَهْدٍ مَا قَدْ أَصَابَنِي فَهَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْعَدْلِ !

(١) في الأصل : أصيب ، وهو تصحيف .

(٢) الكبل : قيد ضخم . اللسان : كبل .

فقال معاوية : ما خطبك ؟ فقال : تزوجت ابنة عمّ لي ، وكانت لي صرمة من إبل^(١) وشويهات فأنفقت ذلك عليها ، فلما أصابتني نائبة الزمان رغب عني أبوها ، وكانت جارية فيها الحياء والكرم فكرهت مخالفة أبيها ، فأتييت عاملك ابن أم الحكم فذكرت ذلك له ، وبلغه جمالها ، فأعطى أباه عشرة آلاف درهم ، فتزوجها وأخذني فحبسني وضيق عليّ ، فلما أصابني مس الحديد وألم العذاب طلقتها ، وقد أتيتك يا أمير المؤمنين وأنت غياث المحروب ، وسند المسلوب ، فهل من قرّج ؟ ثم بكى وقال في بكائه : [من المحتث]

في القلب مني نـ	والنار فيها شـ
وفي فـ وادي جـ	والجر فيـه شرار
والجسم مني نـ	واللون فيـه اصفرار
والعين تبكي بشـ	فدمعها مدرار
والحب داء عـ	فيه الطبيب يحار
حملت منه عظيماً	فا عليه اصطبار
فليس ليلى لـ	ولانهاري نهـ

فرّق له معاوية ، وكتب له إلى ابن أم الحكم كتاباً عظيماً ، وكتب في آخره : [من البسيط]

ركبت أمراً عظيماً لست أعرفه	أستغفر الله من جور امرئ زاني
قد كنت تشبه صوفياً له كتب	من القرائض أو آيات فرقان
[١٠٦/ب] حتى أتاني الفتى العذري منتحياً	يشكو إليّ بحق غير بهتان
أعطي إلهه عهداً لا أخيس بها	أولا قربت ^(٢) من دين وإيمان
إن أنت راجعتني فيما كتبت به	لأجعلنك لحاً بين عقبان
طلق سعاد وفارقها بمجتمع	أشهد على ذاك نصراً وابن ظبيان
فما سمعت كما بلغت من عجب	ولا فعالك حقاً فعل إنسان

فلما ورد كتاب معاوية على ابن أم الحكم ، تنفس الصعداء وقال : وددت أن أمير

(١) يقال للقطعة من الإبل صرمة إذا كانت خفيفة . اللسان : صرم .

(٢) كذا في الأصل وهو مكسور المعجز .

المؤمنين خلّى بيني وبينها سنة ثم عرضني على السيف ، وجعل يؤامر نفسه في طلاقها فلا يقدر ، فلما أزعجه الوفد طلقها . ثم قال : ياسعاد اخرجي ، فخرجت شكيلة^(١) غنجة ذات هيئة وجمال ، فلما رآها الوفد قالوا : ماتصلح هذه إلا لأمير المؤمنين لا لأعرابي . وكتب جواب كتابه : [من البسيط]

لا تحنن أمير المؤمنين فقد	أوفى بعهدك في رفق وإحسان
وماركت حراماً حين أعجبتني	فكيف سئمت باسم الخائن الزاني
وسوف تأتيك شمس لا خفاء بها	أبهى البرية من إنس ومن جان
حوراء يقصر عنها الرصف إن وصفت	أقول ذلك في سري وإعلاني

فلما ورد الكتاب على معاوية قال : إن كانت أعطيت حسن النعمة مع هذه الصفة فهي أكمل البرية ، فاستنطقها فإذا هي أحسن الناس كلاماً ، وأكملهم شكلاً ودلاً . فقال : يا أعرابي ، هل من سلو عنها بأفضل الرغبة ؟ قال : نعم ، إذا فرقت بين رأسي وجسدي . ثم أنشأ الأعرابي يقول : [من البسيط]

لا تجعلني والأمثال تضرب لي	كالمستغيث من الرضاء بالنار
أردد سعاده على حيران مكتئب	يسي ويصبح في هم وتذكار
قد شفه قلق ما مثله قلق	وأسعر القلب منه أي إسماع
والله والله لأنسى محبتها	حق أغيب في رمس وأحجار
كيف السلو وقد هام الفؤاد بها	وأصبح القلب عنها غير صبار

[١٠٧/آ] فغضب معاوية غضباً شديداً ، ثم قال لها : اختاري إن شئت أنا ، وإن شئت ابن أم الحكم ، وإن شئت الأعرابي . فأنشأت سعاد تقول : [من الرجز]

هنا ، وإن أصبح في أطمار	وكان في نقص من اليسار
أكبر عندي من أبي وجاري	وصاحب الدرهم والدينار

أخشى إذا غدرت حرّ النار

(١) الشُّكْل : غنج للمرأة وغزلها وحسن دها . اللسان : شكل .

فقال معاوية : خذها ، لا بارك الله لك فيها ، فأنشأ الأعرابي يقول : [من الرجز]

خلّوا عن الطّريق للأعرابي ألم ترقّوا - لم ي - ؟ !

فضحك معاوية ، وأمر له بعشرة آلاف درهم وناقاة ووطاء ، وأمر بها فأدخلت في بعض قصوره حتى انقضت عِدَّتُها من ابن أم الحكم ، ودفعها للأعرابي .

٢٥٦ - شاعر

يقال له النّجاشي ، ويقال : هو أبو المهلهل الصّدائي

كان معاوية يُغزي أهل الين دون غيرهم ، فاجتمعوا بعكّا ، فقام رجل فقال : [من الطويل]

ألا أيها الناس الذين تجمعوا	بعكا ، أناس أنتم أم أباعر
أتترك قيس ترتعي في بلادها	ونحن نسامي البحر ، والبحر زاخر
فوالله ما أدري وإني لسائل	أهْمْدان تحمي ضيها أم يُحابر ^(١)
أم الشرف الأعلى من أولاد حمير	بنو مالِك إن تستمرّ المرائر ^(٢)
أوصى أبوم بينهم أن تواصلوا	وأوصى أبوكم بينكم أن تدابروا ^(٣)

فجمع معاوية الناس على غزو البحر ، وأعذر إليهم ، فقال : ما أغزيكم دون قيس ، إن معكم فيهم لِكِنانة وخِنْدِف ، وإني أتيّن بكم وأعرف طاعتكم ، وقيس فيهم خلاف ونكد في غزو البحر .

٢٥٧ - شاعر مِنْ كُلب

كان في زمن معاوية ، أو يزيد بن معاوية .

(١) يحابر هو أبو مراد ، يحابر بن مالك بن أدّ . من مذحج . وقد سميت القبيلة باسمه . انظر جمة أنساب

العرب : ٤٠٦ . واللسان : حبر .

(٢) استمرت مريّته على كذا إذا استحكم أمره عليه وقويت شكّته فيه وألفه واعتاده . اللسان : مرر .

(٣) الأبيات في الأغاني : ٢٠٩/٢٠ مع اختلاف في اللفظ .

قال حين رجعت قُضَاعَة عن الانتساب إلى مَعَدَّ بن عدنانٍ وانتسبت إلى قحطان ،
ينكر رجوعهم عن المعدَّة : [من الوافر]

أَزَيْتُمْ عَجُوزَكُمْ وكانت عَجُوزاً لَا يُحَلُّ لَهَا إِزَارُ
عَجُوزاً لَو تَلَمَّسَهَا يَمَانٍ لَلَّاقٍ مِثْلًا لَاقٍ يَسَارُ

[١٠٧/ب] يسار هذا : غلام^(١) يعرف بيسار الكواعب ، كان^(٢) غلام امرأة من العرب ، فراودها عن نفسها فقالت : أنظر في ذلك ، ثم عاودها وألحَّ عليها ، فدعت بموسى فجذعت أنفه ، فضربت العرب المثل به .

٢٥٨ - شَاعِرٌ مِنْ طَيِّئٍ

وَقَدَّ عَلَى يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ فَقَالَ : أَتَيْتُكَ سَائِلًا فِي حَالَةٍ تَحَمَّلْتُهَا^(٣) عَنْ قَوْمِي ، وَأَنَا مِنْ فِرْسَانِهِمْ ، فَارْدَدَنِي لَكَ شَاكِرًا . فقال يزيد : اشدد فرسك بحزامه ، وأشجِّ فاه بلجامه ثم ارم به سواد الليل في عرض الجبل ، حتى يقضي الله عنك غُرْمَكَ أو يُحمد نجمك .

فقال الرَّجُلُ : والله لقد خِفْتُ هذا منك ولكني رجوت لين قلبك . وكان الرجل طويل القامة ، مختلف الخلق ، فأنشأ يزيد : [من البسيط]

يَا أَيُّهَا الْأَعْقَفُ^(٤) الْمَذَلِّي بِحِجَّتِهِ لَا حَرَمَةَ تَبْتَغِي عِنْدِي وَلَا نَسَبًا
شَدَّ الْحِزَامَ عَلَى حِيزُومٍ^(٥) مُحْتَنِكَ ذِي حَارَكٍ^(٦) وَلَبَّانٍ^(٧) يَمْلَأُ اللَّبْبَا^(٨)
وَأَعَصِ الْعَوَازِلَ وَارْمِ اللَّيْلَ عَنْ عَرْضِ بَذِي سَبِيبٍ^(٩) يَقَاسِي لَيْلَهُ خَبِيبًا

(١ - ١) مستدرك على هامش الأصل .

(٢) الجمالة : ما يتحملة الإنسان عن غيره من دية أو غرامة . اللسان : حل .

(٣) الفقير المحتاج . اللسان : عقف .

(٤) الحيزوم : وسط الصدر ما يضم عليه الحزام حيث تلتقي رؤوس الجوانح فوق الرُهبانة بمجال الكاهل .

اللسان : حزم .

(٥) الحارَك : أعلى الكاهل . اللسان : حرك .

(٦) في الأصل : وليامى ، ولم أتبينها ، وللتثبت من عندي بما يناسب السياق ، واللبان : ماجرى عليه اللبب

من الصدر . اللسان : لين .

(٧) اللبب : ما يشد على صدر الدابة أو الناقة يكون للرجل أو السرج يمتنعها من الاسترخاء . اللسان : لبب .

(٨) السبب من الفرس : شعر الذنب والعرف والناصية . اللسان : سبب .

أَقْبَ^(١) لم ينقب البيطار سُرَّتَه حتى تصادف مالاَ أو يقال فتى

ولم يدجُه^(٢) ولم يغمزله عصبا لاقى التي تشعب الفتیان فانشعبا

فقال الطائي : [من البسيط]

يا أيها الملك المحروم سائلُة قد كنتُ أملُ سَجْلاً من سجالكم

لا تقطع اليومَ من سؤالك السببا فاليوم لافضة أرجو ولا ذهبها

فاستفتح القول شدَّ السرج معترضاً جور الفلاة بطرف يمعج الخببا

لو كان والدك الماضي حللتُ به ردَّ الجميل وجلَّى عني الكرببا

إن الحريبَ إذا مارِدُ مطعمه بُخل الخليفة يوماً رده حربا

فتدَمَّ يزيد^(٣) وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وكان يقول بعد ذلك : ودِدْتُ أني فديت ما كان من قولي - حتى تصادف مالاَ - بما يثقل عليّ ، لأنني أعلم كم من فتى فارس كريم سيهلكه هذا البيت ويحمله على غير طباعه عند ضيق المعيشة . قال الرَّحْجِي : ولقد صدق .

^(٤) وقيل : إن ذلك جرى مع^(٥)

فقال عبد الملك : ردوه ، فإنني أحسبه قد عزم على شر . فَطَلِبَ فلم يوجد ، ولم يلبث عبد الملك أن خرج خارجيًّا أسعر الأرض شراً ، وألزمه غرمًا ثقيلاً ، وكتب إليه : يا أمير المؤمنين ، أنا الذي أمرتني ، فقبلت قولك .

فكتب إليه أمانة ، فقدم عليه ، وكان من أعراب^(٤)^(٥)

٢٥٩ - رجل من همدان

من بني وادِعة ، من أهل الأُرْدُنَّ .

[١٠٨ / آ] كان في الجيش الذي وجهه يزيد بن معاوية من البُلقاء لقتال أهل المدينة .

(١) الأقب : الضامر . اللسان : قيب .

(٢) أي لم يقطع ودجه . والتوديع في الدواب كالفصد في الناس . اللسان : ودج .

(٣) استنكف واستحيا : أساس البلاغة : ذمم .

(٤ - ٤) مستدرك على هامش الأصل .

(٥) كلمات غير واضحة لممس في المخطوط .

قال : كنا مع مُسلم بن عَقْبَة مَقْدَمَة المدينة ، فدخلنا حائطاً بذِي المَرْوَة ، فإذا شابٌ حسن الوجه والهَيْئَة قائم يصلي ، فطفنا في الحائط ساعة ، وفرغ من صلاته فقال لي : يا عبد الله ، أَمِنْ هذا الجيش أنت ؟ قلت : نعم . قال : أترومون^(١) ابن الزبير ؟ قلت : نعم قال : ما أحبُّ أن لي ماعلى ظهر الأرض كله وأني سرت إليه ، وما على ظهر الأرض اليوم أحد خير منه . قال : فإذا هو عبد الملك بن مروان ، فابتلي به حتى قتله في المسجد الحَرَام .

٢٦٠ - حَرَسِيٍّ لِمَعَاوِيَة

قال : قدم على معاوية بطريق من الرُّوم يعرض عليه جزية الروم عن كل مَنْ بأرض الروم من صغير وكبير ، جزية دينارين دينارين إلّا عن رجلين : الملك وابنه ، فإنه لا ينبغي للملك وابنه أن يجزيا . فقال معاوية - وهو في كنيسة من كنائس دمشق - : لو صببت لي دنائير جزية حتى تملؤوا هذه الكنيسة لا يجزي الملك وابنه ما قبلتها منكم . فقال الرومي : لا تأكروني ، فإنه لا يماكرني أحد مكرّاً إلّا ومعه كذب . فقال معاوية : أراك تمازحني ! فقال الرومي : إنك اضطررتني إلى ذلك ، غزوتني في البر والبحر والصيف والشتاء ، أما والله يا معاوية ما تغلبونا بعدد ولا عُدّة ، ولوددت أن الله جمع بيننا وبينكم في مرج ثم خلّى بيننا وبينكم ، ورفع عَنّا وعنكم النُّصْر حتى ترى . قال معاوية : ماله قاتله الله ؟ إنه ليعرف أن النصر من عند الله^(٢) .

٢٦١ - مولى ليزيد بن مُعَاوِيَة

حدث عن عائذ الله رجل من أهل الشام عن أبي ذرّ قال : قلت : يا رسول الله ، أي الأنبياء كان أوّل ؟ قال : آدم . قلت : يا بني الله ، ونبياً كان ؟ قال : نعم ، حبّل الله تربته ، ونفخ فيه من روحه ، وخلقه بيده ، وكلمه قَبْلَ^(٣)

(١) في الأصل : أترومون ، وهو تصحيف .

(٢) مرّ هذا الخبر ص ٥٤/ من هذا الجزء .

(٣) أي عياناً ومقابلة ، لا من وراء حجاب ، ومن غير أن يولي أمره أو كلامه أحداً من ملائكته . النهاية :

قبل .

كان بالهامة رجلان أبناء عمّ ، فكثرا ما يقع بينهما ما يقع بين الناس ، فرحل [١٠٨/ب] أحدهما عن صاحبه ، قال : فإني ليلة قد ضجرت برعي الإبل والغنم إذ أخذت بيد صبي لي ، وعلوت الجبل ، فإنا كذلك إذ أقبل السيل ، فجعل مالي يمر بي ولا أملك منه شيئاً حتى رأيت ناقة لي قد علق خطامها بشجرة فقلت : لو نزلت إلى هذه فأخذتها لعلّي أنجو عليها أنا وابني هذا . فنزلت فأخذت الخطام وجذبها السيل ، فرجع عليّ غصن الشجرة فذهب بإحدى عينيّ ، وأفلت الخطام من يدي ، فذهبت الناقة ، ورجعت إلى الصبي فوجدته قد أكله الذئب ، فأصبحت لأملك شيئاً فقلت : لو ذهبت إلى ابن عمي لعله يعطيني شيئاً . فضيت إليه فقال لي : قد بلغني ما أصابك ، والله ما أحب أنه أخطأك . فكان ذلك أشد عليّ مما أصابني . فقلت : أمضي إلى الشام فأطلب . فدخلت دمشق والناس يتحدّثون أن عبد الملك بن مروان أصيب بابن له فاشتدّ جزعه عليه . فأتيت الحاجب فقلت : إني أحدثت أمير المؤمنين بحدث يعزّيه عن مصيبته هذه . فاستأذن له ، فدخل فحدّثه فقال : قد عزّيتني بمصيبتك عن مصيبي . وأمر له بمال . قال : فعدت وتراجعت حالي^(١) .

٢٦٣ - شيخ كلبي

قال : سمعت عبد الملك بن مروان يقول :

لولا أن أمير المؤمنين مروان أخبرني أنه هو الذي قتل طلحة ، ما تركت من ولد طلحة أحداً إلّا قتلته بعثمان بن عفان .

(١) على هامش الأصل : قدم على الوليد ، [وإنه لما حدث] . وقيل : إنه لما حدث بذلك الوليد قال : انطلقوا به إلى عروة بن الزبير ليعلم أن في الناس من هو أعظم مصيبة منه . وقد وردت القصة نفسها في ترجمة رجل من بني عيس ، إلا أنه قدم على الوليد بن عبد الملك . انظر تاريخ ابن عساكر ص : ١٦٧/١٩ . وما بين حاصرتين تكرار في الأصل .

٢٦٤ - أَغْرَابِي مِنْ كَلْب

كان عبد الملك بن مروان قد ولى صدقات كلب رجلاً من بني أمية ، وكانت الروم قد نزعته ^(١) ، وكان أشقر عَصْباً ^(٢) فدخل أعرابي جُلْف جاف على عبد الملك في خِفة الناس فقال : يا إنسان ، إنك مُدبر ^(٣) مربوب ^(٤) قال : أجل ، فما تشاء . قال : احتجبت بهذه المَدَرَة ^(٥) ، ووليت خطابنا أصهب عصباً كالقِرْعَوْس ، طُمْطُمَانِيَا أَطُوماً كَأَن وجهه جُهْوَة قرد قد قُشر بَصْرُها ، وكأنَّ فاه سُرْم ^(٦) أَتَان قد قاشها غَيْر ^(٧) فهي تَرْمُز ، إن كَشَرْتَ بَسَرَ ، وإن خاطبت نهر ، وإن بالفت زَبَر ^(٨) فلا الكلام مدفوع [١٠٩/١] ولا القول مسموع ، ولا الحق متبوع ولا الجُور مردوع ، ولنا ولك مقام فيه يَنْصُ الخِصَام ^(٩) ، وتزحف الأقدام ، وينتصف المظلوم ، وَيَنْعَش ^(١٠) المهضوم ، هاإن ملكك هناك زائل ، وعزك حائل ، وناصرك خاذل ، والحاكم عليك عادل . فاكْبَأْ عبد الملك ، وتضاءلت أقطاره ، وترادفت عبراته في صدره . ثم قال : لله أبوك ، أي ظلم نالك منا حتى أ جاءك إلى هذا المقال . قال : ساعيك في السباوة ^(١١) ، نهاره هو ، ورأيه لغو ، وغضبه سطو ، يجمع المناقط ، يحتجن المشايط ، ويستنجد العارط . فأمر عبد الملك بصرف العامل .

نفسه ذلك : العَصَب : الصَّم ^(١٢) . والقِرْعَوْس : والد البُخْتِيَّة وهو لا ينبج

(١) أي أبعدته .

(٢) في الأصل : عضباً وهو تصحيف .

(٣) ميت . من دابر الرجل : مات . اللسان : دبر .

(٤) أي ملوك لله . اللسان : ريب .

(٥) المدرة : المدينة الضخمة . اللسان : مدر .

(٦) السرم : الدبر . اللسان : سرم .

(٧) الحمار : اللسان : غير .

(٨) انتهر . اللسان : زبر .

(٩) أي يظهر . اللسان : نصص .

(١٠) أي يرفع . اللسان : نعش .

(١١) بادية بين الكوفة والشام . معجم البلدان : ٢٤٥/٣

(١٢) رجل صم . هو الشديد الصلب ، وقيل المجتمع الخلق . اللسان : صمم .

ولا ينفع^(١) . والطَّمْطَمَانِي : الأعجم . والأَطُوم : الذي لا يفهم ولا يفهم ؛ أخذ من جلد الأَطُوم : وهي دابة صليبة الجلد . وقيل : هي السِّلْخَفَاء . وَجْهَوَةٌ قَرْد : دُبْرُه وما ولاه ، وكذلك هولكل ذي أربع ، وربما استعمل في الناس . وقشر بَصْرُها : البَصْر : قشرة على كل شيء . وقاشها : أي نزا عليها . والتَّرْمُز : التحرك . والمشايط : الواحد : مشياط ، وهو الذي يسرع إليه السنن . والمناطق : المتفرقة ، وتقط هذا : أي فرقه . والعمارط : واحدها عَمْرُوط : وهو الذي لا يرى شيئاً إلا اخْتَلَسَه ، وهو اللَّص ، والواني الوغد^(٢) . واكبأن : دخل بعضه في بعض . وتضاءلت : أي تصاغرت . والأقطار : النواحي . وأجاءك : أي اضطرَّك .

٢٦٥ - رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ عَثَانَ بْنِ عَفَّانَ

وفد على عبد الملك بن مروان ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، رأيت في يومي هذا عجباً . كنت في الصَّيد ، فبينما أنا بقفرة من الأرض إذ رأيت شخصاً سقط حاجباه على عينيه ، يتوكأ على عَنَزَةٍ^(٣) معه . فقلت له : منَ الشيخ ؟ فقال : امضِ لشأنك ودعِ السؤال عما لا أَرَبَ لك في علمه . فازددت لما قال ذعراً ، فقلت له : أتروي من شعر العرب شيئاً ؟ قال : نعم ، وأقول كما قالوا : قلت : نحو ماذا ؟ فأُنشدني : [من البسيط]

[١٠٩/ب] أقول والنجم قد مالت أو آخره إلى المغيب تبيّن نظيرة حــــــــار
ألحمة من سنّا بَرَقَ رأى بصري أم وجه نُعمٍ بدا لي أم سنّا نار
بل وجّه نُعمٍ بدا والليل مُعتكِز فلاح من بين أثواب وأستار^(٤)

قال : وكنت يا أمير المؤمنين أعرف الشعر لمادر صاحب نابغة بني ذبيان فقلت : سبقك أخو ذبيان إلى هذا . فضحك ثم قال : بلفظي كان ينطق ، أنا هادر بن ماهر . ثم اعتمد على عنق فرسي وقال : ذكرتني صباي . قلت : هذا الشعر من أربع مئة سنة . ثم أنشد : [من المتقارب]

(١) في اللسان : القرعوس : الجمل الذي له سنامان . قرعس .

(٢) على هامش الأصل حرف « ط » .

(٣) العنزة : عصا في قدر نصف الرمح أو أكثر شيئاً فيها سنان مثل سنان الرمح . اللسان : عزز .

(٤) الأبيات في ديوان النابغة الذبياني : ٢٢٥ وفيه : أبواب بدل أثواب ، وهو تصحيف .

وصلتُ القيآن بمهد المسيح فأظهرن هَجْراً بقول قبيح
 وذاك لأني حنيت العصا وأبدى الزمان لصحي كلوحي
 فمن لي بوجهه ولايس لي^(١) بدا لا بوجه صبيح مليح
 ثم نظرت . فإذا الأرض منه بلقع . قال عبد الملك : لقد رأيت عجباً .

٢٦٦ - قُضَاعِي

وفد على عبد الملك ناس من قُضَاعَة . فقال رجل منهم: [من الكامل]
 والله ماندرى إذا مافاتنا طلب إليك من الذي نتطلب
 ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد أحداً سواك إلى المكارم ينسب
 فاصبر لعادتنا التي عودتنا أولاً ، فأرشدنا إلى مَنْ نذهب
 فأمرله بألف دينار .
 ثم وفد عليه فقال : [من الطويل]
 وربي^(٢) الذي يأتى من الخير إنه إذا فعــــل المعروف زاد وتما
 وليس كبانٍ حين تمّ بناؤه تتبّعـه بالنقض حتى تهدمـا
 فأعطاه ألفي دينار . ثم وفد عليه فقال : [من الطويل]
 إذا استعزروا كانوا معازير بالندى يكرّون بالمعروف عوداً على بـدء
^(٣) فقال : أحسنت . وأعطاه أربعة آلاف دينار^(٣) .

(١) كذا في الأصل ، ولم يظهر لي المعنى .

(٢) في الأصل : يارب ، ولا يستقيم الوزن .

(٣) ٣ - ٣ مستدرك على هامش الأصل .

٢٦٧ - أعرابي وَقَدَ على عبد الملك بن مروان

فسلم عليه ، ثم قال : مرت بنا سنون ثلاثة : أما إحداها^(١) فأكلت المواشي ، وأما [١١٠ / آ] الثانية فأفضلت اللحم ، وأما الثالثة فخلصت إلى العظم ، وعندك مال ، فإن يكن لله فأعط عباد الله ، وإن يكن لك فتصدق علينا ، إن الله يميز المتصدقين . قال : فأعطاه عشرة آلاف درهم ، ثم قال : لو كان الناس يحسنون أن يسألوا هكذا ما حرمنا أحداً .

٢٦٨ - أعرابي دخل على عبد الملك

فقال عبد الملك : يا أعرابي ، تمته . فقال : العافية يا أمير المؤمنين . فقال : ثم ماذا ؟ قال : ثم رزق في دعة ليس لأحد عليّ فيه منة إلا الله ، والله عليّ فيه تبعة . قال : ثم ماذا ؟ قال : الخمول ، فإني رأيت السوء إلى ذي النبأه سريعاً .

٢٦٩ - رجل من بني عذرة

صنع عبد الملك بن مروان طعاماً فأكثر وأطاب ، ودعا إليه الناس فأكلوا فقال بعضهم : ما أطيب هذا الطعام ، ما رأى أحد أكثر منه ولا أطيب ، فقال أعرابي من ناحية القوم : أما أكثر فلا ، وأما أطيب فقد أكلت أطيب منه . فطفقوا يضحكون من قوله . فأشار إليه عبد الملك ، فأدنى منه فقال : ما أنت بحقي فما تقول إلا أن تخبرني بما تبين به صدقك . فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، بينا أنا بهجر^(٢) في تراب أحمر في أقصى حجر إذ توفي أبي ، وترك كلاً وعيلاً وكان له نخل ، وكان فيه نخلة لم ينظر الناظرون إلى مثلها ، كأن ثمرها أخفاف الرباع^(٣) لم يرقط أغلظ لحياء ولا أصغر نوى ، ولا أحلى حلاوة منها ، وكانت تطرقها أتان وحشية قد ألفتها ، تأوي بالليل تحتها ، فكانت تثبت رجلها في أصلها ، وترفع يديها ، وتقطع بفيها ، فلا تترك بها إلا النبذ والمتفرق ، فأعظمني ذلك ووقع مني كل موقع ، فاناطلقت بقوسي وأسهمي ، وأنا أظن أني أرجع من ساعتی ، فكثت يوماً وليلة

(١) في الأصل : إحداها .

(٢) بلد معروف بالبحرين . انظر معجم البلدان : ٣٩٣/٥

(٣) يقال للذكر من الإبل إذا طلعت رباعيته : رباع . اللسان : ربع .

لأراها ، حتى إذا كان السحر أقبلت فتهمأت لها فرشقتها ، فأصبتها وأجهزت عليها ، ثم عمدت إلى سُرَّتِها^(١) فاحتزتها ، ثم عمدت إلى حطبِ جَزَلٍ [١١٠ ب] فجمعت به إلى رَصَفٍ وعمدت إلى زَنْدِي فقدحت ، وأضمرت النار في ذلك الحطب ، وألقيت سُرَّتِها فيها ، وأدركني النوم فلم يوقظني إلا حرُّ الشمس في ظهري ، فانطلقت إليها وكشفتها ، وألقيت ما عليها من قذى ورماد ، ثم قلبت مثل الملاء البيضاء ، فألقيت عليها من رَطَبِ تلك النخلة المَجْرُعة^(٢) والمُنَصَّفة فسمعت لها أطيظاً^(٣) كنداعي عامر وغطفان . ثم أقبلت أتناول الشحمة واللحمة فأضعها بين الترتين ، فأهوي بها إلى في فمٍ أحلف أني ما أكلت طعاماً قط مثله ؟ فقال له عبد الملك : لقد أكلت طيباً ، فمن أنت ؟ قال : أنا رجل جانبتي عنعنة تميم^(٤) ، وكشكشة ربيعة^(٥) ، وحوشي أهل اليمن وإن كنت منهم . قال : فمن أيهم أنت ؟ قال : من أخوالك من عذرة . قال : أولئك فصحاء الناس ، فهل لك علم بالشعر ؟ قال : سلمي عما بدا لك . قال : أي بيت أمدح ؟ قال : قول جرير : [من الوافر]

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَسْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونِ رَاحٍ^(٦)

قال : وجرير في القوم . فرفع رأسه وتناول لها . قال : فأبي بيت أفخر ؟ قال :

١ قول جرير : [من الوافر]

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابًا^(٧)

فتحرك جرير .

ثم قال : أي بيت أهجا ؟ قال : قول جرير : [من الوافر]

(١) في الأصل : صرَّتِها .

(٢) إذا بلغ الإرباط ثلثيها . اللسان : جزع .

(٣) الأطيظ : صوت الرجل والإبل من ثقل أحمالها . اللسان : أطمط .

(٤) إبداهم العين من الهمزة كقولهم : عن يريدون أن . اللسان : عنن .

(٥) لغة لربيعة ، يجعلون الشين مكان الكاف ، وذلك في المؤنث خاصة ، فيقولون : عليش ومنش وبش .

اللسان : كشش .

(٦) البيت في ديوانه : ٩٨

(٧) البيت في ديوانه : ٧٨

فَقَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نَمِيرٍ . فلا كَغَباً بَلَّغْتَ ولا كلاباً^(١)

قال : فاستشرف لها جرير .

قال : فأَيُّ بيت أغزل ؟ قال : قول جرير : [من البسيط]

إِنَّ الْعَيْونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ قَتَلْنَاهُمْ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا^(٢)

قال : فاهتز جرير وطرب . ثُمَّ قال : أَيُّ شَيْءٍ قَالَتْهُ الْعَرَبُ أَحْسَنَ تَشْبِيهاً ؟ قال :
قول جرير : [من الطويل]

سَرَى نَحْوَهُمْ لَيْلٌ كَأَنَّ نَجْمَوه قَنَادِيلُ فِيهِنَّ الذُّبَابُ الْمُفْتَلُّ^(٣)

فقال جرير : جائزني يا أمير المؤمنين للمُعْذِرِي . فقال عبد الملك : وله مثلها من بيت
المال ، ولك جائزتك يا جرير لانقص منها شيئاً . وكانت جائزة جرير أربعة آلاف درهم
وتوابعها من الجَلَانِ^(٤) والكسوة . فخرج المُعْذِرِي بِثَمَانِيَةِ آلافِ دِرْهَمٍ وَرِزْمَةِ ثِيَابٍ .

[١١١ / آ] ٢٧٠ - رجل فصيح !

قال الزُّهْرِيُّ : دخل رجل على عبد الملك فقال له : كم عطاؤك ؟ قال : مئتي درهم .
قال : في كم ديوانك ؟ قال : عشرون ديناراً^(٥) . قال : أما علمت أنني قد أمرت أن لا يتكلم
أحد إلا بإعراب ؟ قال : ما علمت ذلك يا أمير المؤمنين . قال : فمن العرب أنت أم من
الموالي ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن تكن العربية آباءً فلست منها ، وإن تكن لساناً فإني
منها . قال : صدقت ، قال الله عز وجل ﴿ يَلْسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾^(٦) فقام الرَّجُلُ . فقال
عبد الملك : يا زُهْرِي ، ما ناظرني أحد [بمناظرة]^(٧) إِلَّا عُلُوَّتُهُ فِيهَا خَلَا هَذَا الرَّجُلُ .

(١) البيت في ديوانه : ٧٥

(٢) في الديوان : ٥٩٥ ، مع اختلاف في اللفظ .

(٣) في الديوان : ٤٥٦

(٤) الجَل من اللتاع : القطف والأكسية والبسط وغوه . اللسان : جِلل . .

(٥) نصب فيما الرفع فيه أصح ، ورفع ما جره أصح .

(٦) سورة الشعراء : ١٩٥/٢٦

(٧) ما بين حاصرتين ليس في الأصل ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٦٥/١٩ . آ .

٢٧١ - رجل

دخل على عبد الملك بن مروان وهو يتغذى فقال : هلم إلى الغداء . فقال : ما في فضل . فقال عبد الملك : ما أقبح بالرجل أن يأكل حتى لا يكون فيه فضل . فقال : يا أمير المؤمنين ، عندي مستزاد ولكني أكره أن أصير إلى الحالة التي استقبح أمير المؤمنين .

٢٧٢ - رجل أعرابي

دخل على عبد الملك بن مروان وهو يأكل الفالودج^(١) فقال : يا بن عم ، اذن فكل من هذا الفالودج ، فإنه يزيد في الدماغ . قال : لو كان كما يقول أمير المؤمنين كان رأسه مثل رأس البغل .

٢٧٣ - رَجُلٌ

وعظ عبد الملك بن مروان . قال له عبد الملك : تكلم . قال : بهم أتكم وقد علمت أن كل كلام يتكلم به المتكلم عليه إلا ما كان لله ؟ فبكى عبد الملك ثم قال : لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون . فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، إن للناس في القيامة جولة ، لا ينجو من غصص مرارتها ومعاناة الردى فيها إلا من أَرْضَى الله بسخط نفسه . فبكى عبد الملك وقال : لا جَرَمَ ، لأجعلن هذه الكلمات مثلاً نُصَب عيني ماعشت .

٢٧٤ - رجل

من سُقراء البادية عَشِقَ ابنة عمه وأَمَلَ أن يتزوجها ، فأصابتهم حَطْمَةٌ^(٢) أفسدت المال وغيّرت الحال ، في خلافة عبد الملك بن مروان ، فارتحل أهلها إلى بعض مدائن الشام [١١١/ب] وكثر خُطَاب الجارية ، وبُذِل لها الرغائب ، فبلغ ذلك الأعرابي ، فأقبل على

(١) الفالودج من الحلواء : هو الذي يؤكل ، يسوى من لب الخنطة . فارسي معرب . قال يعقوب : ولا يقال الفالودج . اللسان : فلذ .

(٢) أي سنة وجذب . اللسان : حطم .

قَعُود^(١) له ، وأغذُ السير ، قَعَطِبَ^(٢) قَعُودَه ، فلم يبق معه إلا حِلْسُه^(٣) وقَتْبُه ، فأتاهم فذكر قرابةً وشرفاً فقالوا : المال أحب إلينا للحال التي نحن عليها . قال : أي قوم ، أمّا إذ أبيتم فأجلوني شهراً أو شهرين ، فإن جئتم بما تحبون وإلا فأتتم من وراء ماتريدون .

وأتى باب عبد الملك فأقام ببابه شهراً لا يصل إليه ، ثم أذن له فدخل وهو يقول :
[من البسيط]

ماذا يقول أمير المؤمنين لمن	أدلى إليك بلا قُرْبى ولا نسب
مدلّه عقله من حب جارية	موصوفة بكال الدّل والأدب
خطبتها إذ رأيتُ الناس قد لهجوا	بذكرها ، والهوى يدعو إلى العطب
فقلت لي حسب عالٍ ولي شرف	قالوا الدّراهم خير من ذوي الحسب
قالوا نريد ألوفاً منك أربعة	ولست أملك غير الحِلْس والقَتب
فالنفس تعجب لمّا رمت خطبتها	مني ، وتضحك إفلاسي من العجب
لو كنت أملك مالاً أو أحيط به	أعطيتهم ألف قنطار من الذهب
فأمننُ عليّ أمير المؤمنين بها	واجمع بها شمل هذا البائس العزب
فأرأك بعد الله مُطَلَّب	أنت الرجاء ومنهى غاية الطلب

فأمر له عبد الملك بعشرة آلاف درّهم ، وما يصلح للولية .

زاد في أخرى مثلها : ورجع إلى الشيخ فتزوّج بابنته .

(١) القعود من الإبل ما يمكن أن يركب وأدناه أن تكون له سنتان ثم هو قعود إلى أن يثني فيدخل في السنة السادسة ثم هو جل . اللسان : قعد .
(٢) هلك أو انكسر . اللسان : عطب .
(٣) كل شيء ولي ظهر البعير والسداية تحت الرجل والقَتب والسرّج ، وهو بمنزلة المرشحة تكون تحت اللبد . اللسان : حلس .

٢٧٥ - رجل مِن غَسَّان

دخل على عبد الملك بن مروان فكلمه في حوائج قضاها له ، فقال : أتأذن لي يا أمير المؤمنين في تقبيل يدك ؟ فقال : مَهْ ، أما علمت أنها من العرب مذئبة ، وهي من العجم خذعة ؟ ..

٢٧٦ - رجل مِن العراق

نصَّبَ عبد الملك موائد يُطعم الناس ، فجلس رجل من العراق على بعض الموائد ، فنظر إليه خادمٌ [١١٢/آ] عبد الملك فأنكره ، فقال له : أعراقيٌّ ؟ قال : نعم . قال : فجاسوس ؟ قال : كلا ، دعني أتهنأ بزد أمير المؤمنين . ثم إن عبد الملك وقف على تلك المائدة فقال : من القائل : [من الوافر]

إذا الأُرْطَى^(١) توسَّدَ أُبْرَدَيْهِ^(٢) خدودُ جوازئ^(٣) بالرَّمْلِ عَيْنِ^(٤)

وما معناه ؟ وَمَنْ أجاب فيه أجزناه ، والخادم يسمع . فقال العراقيُّ للخادم : تحب أن أشرح لك مَنْ قائله ؟ وفيم قاله ؟ قال : نعم . قال : يقوله عدي بن زيد في الحر . فقال الخادم : يا أمير المؤمنين ، أنا أجيبك . قال : قل . قال : يقوله عدي بن زيد في الحر . فتبسم عبد الملك . فقال له الخادم : أخطأت أم أصبت ؟ قال : بل أخطأت . قال : يا أمير المؤمنين ، هذا العراقيُّ لَقْنَنِيهِ . فقال عبد الملك : أنت لَقْنَتَ هذا الخادم ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : فخطأ لقنته أم الصواب ؟ قال : بل الخطأ قال : ولم ؟ قال : لأنني كنت متحرماً بمائدتك ، فوقف عليّ فقال : أعراقيٌّ أنت ؟ قلت : نعم . قال : أنت جاسوس ؟ فقلت : دعني ، لاتنغصني بزد أمير المؤمنين . قال : فكيف الصَّواب ؟ قال : يقوله شِمْخَاح بن ضِرَّار التُّغْلَبِي في بقر الوحش ، وقد تجزأت بالحضير عن الماء . قال : صدقت . فأجازه ، ثم قال : سل حاجتك ؟ قال : تنحي هذا عن بابك فإن فيه مشينة .

(١) من شجر الرمل . اللسان : رمل .

(٢) الأبردان : الظل والقيء ، سمياً بذلك لبردهما ، والأبردان أيضاً : الغداة والعشي . اللسان : برد .

(٣) الجوازئ : الأطباء وبقر الوحش ، سميت جوازئ لأنها اجتزأت بأكل الثبت الأخضر عن الماء . اللسان : جزأ

(٤) أي الواسعات العيون . والبيت في ديوان الشماخ بن ضرار : ٣٣١

٢٧٧ - رجل

قَدِمَ عَلَى الْحِجَّاجِ بَفْتَحَ سَمَرْقَنْدَ ، فَوَجَّهَهُ إِلَى الشَّامِ . قَالَ : قَدِمْتَهَا فَدَخَلْتَ مَسْجِدَهَا
فَجَلَسْتَ وَإِلَى جَانِبِي شَيْخٌ ضَرِيرٌ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الشَّامِ ، قَالَ : إِنَّكَ لَغَرِيبٌ ؟
فَقُلْتُ : أَجَلٌ . قَالَ : مِنْ أَيِّ بِلَادٍ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : مِنْ خُرَّاسَانَ . قَالَ : مَا أَقْدَمَكَ ؟
فَأَخْبَرْتُهُ . فَقَالَ : وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ مَا افْتَتَحْتُمُوهَا إِلَّا غَدْرًا ، وَإِنَّكُمْ يَا أَهْلَ خُرَّاسَانَ
الَّذِينَ تَسْلُبُونَ بَنِي أُمَيَّةٍ مُلْكَهُمْ وَتَنْقُضُونَ دِمَشْقَ حَجَرًا حَجَرًا .

قَالَ : أَظُنُّ الضَّرِيرَ يُونُسَ بْنَ مَيْسَرَةَ بْنِ خَلْبَسَ .

٢٧٨ - رجل

مَدَحَ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَخَذَ فِي تَقْرِيطِهِ . فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : عَلَى رِسْلِكَ ، فَإِنِّي
لَأُحِبُّ التَّزْكِيَةَ فِي الْمَشَاهِدَةِ ، وَمَدِيحَ اللَّقَاءِ . فَقَالَ الرَّجُلُ : إِنِّي لَسْتُ [١١٢/ب]
أَمْدَحُكَ ، وَلَكِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى النِّعْمَةِ فَيْكَ . فَقَالَ سُلَيْمَانُ : بَلَغْتَ بِالْمَدِيحِ مَنَاطَ الْإِحْسَانِ .

٢٧٩ - شيخ

مِنْ دِمَشْقَ .

دَخَلَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْمَسْجِدَ فَرَأَاهُ فَقَالَ : يَا شَيْخَ ، أَيْسُرُكَ أَنْ تَمُوتَ ؟ قَالَ :
لَا وَاللَّهِ . قَالَ : وَلِمَ وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ السِّنِّ مَا أَرَى ؟ قَالَ : ذَهَبَ الشَّبَابُ وَشَرُهُ ، وَجَاءَ الْكِبَرُ
وَخَيْرُهُ ، فَإِذَا قَعَدْتَ ذَكَرْتَ اللَّهَ ، وَإِذَا قَتَّ حَمَدْتَ اللَّهَ ، فَأُحِبُّ أَنْ تَدُومَ لِي هَاتَانِ
الْحَالَتَانِ .

٢٨٠ - أَعْرَابِي

دَخَلَ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي مَكْمَلُكَ بِكَلَامٍ فَاحْتَمَلُهُ
إِنْ كَرِهْتُهُ ، فَإِنْ مِنْ وَرَائِهِ مَا تَحِبُّ أَنْ قَبِلْتَهُ ، وَإِنْ كَرِهْتَ أَوَّلَهُ . قَالَ سُلَيْمَانُ : إِنَّا لَنَجُودُ
بِسَعَةِ الْإِحْتِمَالِ عَلَى مَنْ لَا نَرْجُو نَصِيحَتَهُ وَلَا نَأْمَنُ غِشَّهُ ، وَأَنْتَ النَّاصِحُ حَبِيبٌ وَالْمَأْمُونُ غَيْبٌ .

فقال : يا أمير المؤمنين ، أما إذ أمنتُ بادرة غضبك فسأطلق لساني بما خَرسْتُ به الألسن عن عظمتك ، تأديةً لحق الله وحق رعيَّتكَ - وفي رواية - وحق إمامتك .

ياأمر المؤمنين ، إنه قد تكتَفَكَ رجال أسأؤوا الاختيار لأنفسهم ، فابتاعوا دنياك بدينهم ، ورضَاكَ بسخط ربِّهم ، خافوك في الله ، ولم يخافوا الله فيك ، فهم حَرْبٌ لِلآخرة ، سِلْمٌ لِلدنيا ، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ، فإنهم لن يألوا للأمانة تضييعاً ، وللأمة عَسْفاً ، وللقرى خَسْفاً ، وأنت مسؤول عما اجترحوا ، وليسوا بمسؤولين مما اجترحت ، فلا تصلحُ دنياهم بفساد آخرتك ، فإن أعظم الناس غَبْثاً مَنْ باع آخرته بدنيا غيره . فقال له سليمان : أما أنت يا أعرابي فقد نصحت ، وأرجو الله أن^(١) يعين على ما تقلدنا - وفي رواية - فقال له : أما أنت فقد سللت لسانك ، فهو أقطع من سيفك . فقال الرجل : يا أمير المؤمنين : لك ، لا عليك .

٢٨١ - رجل

ظَلَمَته وكلاء رجل من بني أمية ، له منزلة عند ملوكهم ، في مال له بالحجاز ، فخاصم الرجلُ الوكلاء إلى الوالي [١١٣ / آ] فال عليه لهم . فقال : لأرضي إلا بوالى مكَّة والمدينة ، فصاروا [إليه]^(٢) فكتب الأموي إلى الوالي الذي ارتفعوا إليه ، فال عليه لهم . فقال الرجل : لأرضي إلا بأمير المؤمنين . فخرج إلى سليمان بن عبد الملك ، فلم يلقَ بدمشق أحداً من جلساء سليمان ، ولا عظمياً من عظماء دمشق إلا مال إلى الأموي عليه . فطلب الوصول إلى سليمان ، فتعذَّر عليه ذلك ، فذللَّ على خادم خصي أنه لا يوصله إلى سليمان غيره ، ولا يوصله حتى يرغبه . فقال : أجعل له مئتي دينار على أن يوصلني إليه خالياً . فاجتمعوا^(٣) ، وقرَّر له ذلك ، إن قضيتُ حاجته أو لم تقض . فأمر الخادمُ الرَّجُلَ بلزوم الباب ، فلزمه . فدعا سليمان الخَصِيَّ يوماً ، وأمره أن يأتيه بوضوء ، فأتاه به ، فبينما الخادم يصبُّ على سليمان إذ ملأ سليمان يده فضرب به وجه الخادم ، فعرف الخادم منه طيب نفسٍ فقال : أما هذا فتحسنه ، وأما أن تعطيني أو تدع مَنْ يعطيني فلا . فقال سليمان : هل منعت من عطيتك أحداً ؟ قال : هذا رجل بيبابك ، قد جعل لي مئتي دينار على أن يكلمك

(١) في الأصل : وأرجو أن الله .

(٢) مابين حاصرتين ليس في الأصل ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٦٨/١٩ . آ .

(٣) أي الرجل والخادم ومن سَفَر بينهما .

في حاجة له خالياً ، قُضيت الحاجة أم لم تُقَضَّ . فقال له سليمان : هاته . فجاء به ، وقام سليمان يصلّي ، ثم قعد يخطر بأصبعه ويدعو . فقال الرجل حين نظر إلى سليمان في تلك الحال : أواه ، أواه ، أخطأت موضع حاجتي . ورجع خارجاً ، وانصرف سليمان . فقال للخصي : أين صاحبك ؟ فطلبه فوجده خرج وقال : ادفعوا الدنانير للخادم فإنه وفي بما صَبَنَ . فطلبه الخادم فلم يجده ، فرجع إلى سليمان فأخبره . فقال سليمان للخادم : بساطي عليك محرّم أو تجيئني بهذا الرجل . فخرج الخادم وثقاته فتفرّقوا في طلبه حتى ظفروا به يقود راحلته خارجاً من باب من أبواب دمشق ، فقال له الخادم : ارجع إلى أمير المؤمنين فقد طلبك . فقال : لا حاجة لي به ، وقد أمرت أن تُدفع إليك الدنانير . فقال له الخصي : لا بد من الرجوع إلى أمير المؤمنين . فردّه على كره منه إلى سليمان [١١٣/ب] فقال له سليمان : ألم أخبر أنك جعلت لهذا مئتي دينار على أن يدخلك إليّ ؟ فقال الرجل : قد كان ذلك . قال سليمان : أفلم أرك ؟ قال : بلى . قال : فما أخرجك ؟ والله إن لك لخبراً . قال : أجل ، خبر ضخم العنق ، إن فلاناً ظلمني في أرض بالحجاز لي ، فاستعديت عليه الوالي على ناحيتنا ، فقال عليّ له ، فلم أرضَ بذلك ، واستعديت عليه الوالي الأكبر ، فقال له عليّ ، فلم أرضَ بذلك ، وقَدِمْتُ إليك فلم أجِدْ أحداً إلّا يميل له عليّ ، فجعلت لخادمك هذا الذي جعلت له على أن يوصلني إليك ، فلما أوصلني إليك رأيتك تخطر بأصبعك إلى السماء تطلب من الله حاجتك وتضرع إليه ، ففعلت بفعلك موضع حاجتي ، وعلمت أني أخطأت في طلبها ، ولم آتِها من الموضع الذي ينبغي ، فرجعت أطلبها من الموضع الذي تطلب أنت حاجتك . فبكى سليمان ثم قال : إن الذي طلبت إليه [حاجتك] ^(١) قد قضاها . وكتب إلى الأموي بكل ما أحب ، وأمره برّد ما يدعي عليه ، وأعطاه أيضاً ما يصلح به ضيعته ^(٢) وذلك بعد ما وصله سليمان وكساه وحلّه ، وأمر له بفرائض .

٢٨٢ - رجل

أخافه سليمان وطلبه ليقترله فهرب ، فجعلت رسله تحتلف إلى منزله يطلبونه ، فلم يظفر به ، وجعل الرجل لا يأتي بلدة إلّا قيل له : قد كنت تُطلب ها هنا . فلما طال عليه

(١) ما بين حاصرتين ليس في الأصل ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٦٨/٩ ب

(٢) الضيعة : الأرض المُغَلَّة . اللسان : ضيع .

الأمر ، وخشي ألا يفلت قال : ما أجد شيئاً خيراً من أن أذهب إلى بلادٍ ليس فيها له مملكة . فأقبل إلى أهله فطرقهم ليلاً فَدَقَّ الباب . فقالت المرأة : مَنْ هذا ؟ قال : افتحي ، أنا فلان . قالت : ويحك ، وما جاء بك ؟ فوالله ما نأمن ولا يأمن جيراننا ، ولكنَّ الحَيْنَ^(١) جاء بك . ففتحت له ، وأسرجت سريعاً ، ونهبت له عياله وجاءته بقشاة فتعشَّى ، وأرادها على نفسها ، فلم تمتنع عليه فواقعها وقالت : يا جارية ، ضعي لمولاي في المتوضأ سراجاً ، وصبِّي له ماءً ، واذهي إلى فلان وفلان : أربعة من جيرانها ، ولا يعلم الرجل . فأتت أبوابهم ، فطرقتها ، فقالوا : مالكم ، أطرقكم الليلة أحد ؟ [١١٤/أ] قالت : لا . قالوا : فلأي شيء بعثتك^(٢) ؟ قالت : مالي^(٣) علم . فدق هذا على هذا ، وأتوها ، ودخلوا البيت فقام إليهم ، واعتنقهم ، وقالوا : ما جاء بك ؟ فإنا ما نأمن على منازلنا ، ولكن الحَيْنَ جاء بك . فقال : يا قوم ، لم أت بلدة إلا وجدتني أطلب فيها ، فرأيت أن أدخل بلدة ليس له عليها مملكة ، وجئت لأوصي هذه المرأة وصية الموت ، لأني إن دخلت بلاداً غير بلاد الإسلام لم أقدر أن أخرج منها ، فأوصيت إليها ، وأشهدكم على ذلك . ثم ودَّعهم ، وقاموا يخرجون . فقالوا : أيتها المرأة لأي شيء بعثت إلينا ؟ فقالت : أليس تعرفون الرجل أنه زوجي ؟ قالوا : بلى . قالت : فإنه قد كان منه الليلة ما يكون من الرجل إلى أهله ، فاشهدوا على هذه الليلة ، فإنه لا أدري ما يكون هاهنا - وأشارت إلى بطنها - فيقول الناس : من أين جاءت بهذا زوجها غائب ؟ فخرج القوم وهم يقولون : ما رأينا^(٤) كالسيوم امرأة أحسن عقلاً ، ولا أقرب مذهباً . وودَّعوه ، وخرج الرجل ، ترفعه أرض وتضمه أخرى حتى ظنَّ أنه قد خرج من مملكته . فبينما هو في صحراء ليس فيها شجر ولا ماء ، إذا هو برجل يصلي . قال : فخفته وقلت : هذا يطلبني ، ثم رجعت إلى نفسي فقلت : مامعه راحلة ولا دابة . فقصدت نحوه ، فلما صرت بين كتفيه ركع ثم سجد ثم التفت إليَّ فقال : لعل هذا الطاغى أخافك ؟ قلت : أجل ، رحمك الله . قال : فما يمنعك من السَّعْيِ ؟ قلت : وما

(١) الهلاك : اللسان : حين .

(٢) في الأصل : بعثتكم . وللتبث من تاريخ ابن عساكر س : ١٦٨/١٩ ب .

(٣) في الأصل : مالنا . وللتبث من المصدر السابق .

(٤) في الأصل : مارأيت . وللتبث من تاريخ ابن عساكر س : ١٦٨/١٩ أ .

السبع يرحمك الله ؟ ! قال : قل سبحان الله الواحد الذي ليس غيره إله ، سبحان القديم الذي لا بادئ له ، سبحان الدائم الذي لا نفاد له ، سبحان الذي كل يوم هو في شأن ، سبحان الذي يحيي ويميت ، سبحان الذي خلق ما يرى وما لا يرى ، سبحان الذي علم كل شيء بغير علم . قال : قلها . فقلتها ، وحفظتها ، فألقى الله في قلبي الأمن ، ورجعت من الطريق الذي جئت منه ، فلم أر الرجل ، وقصدت أهلي فقلت : لآتين باب سليمان بن عبد الملك ، فأتيت بابه فإذا هو يوم إذنه للناس ، فدخلت وهو قاعد على فرشه ، فما عدا أن رأيته ، فاستوى على فرشه [١١٤/ب] ثم أدنانني حتى قعدت معه على الفراش ، ثم قال : سحرتني ؟ وساحر أيضاً مع ما بلغني عنك ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما أنا بساحر ولا سحرتك . قال : فكيف ؟ فما ظننت أن يتم ملكي إلا بقتلك ، فلما رأيته لم أستقر حتى دعوتك فأقعدت على فرشي - وهو يضرب بيده على فخذه - ثم قال : اصدقني . فأخبرته بقصتي وخوفي ، وأمرني كله . فقال سليمان . الحضر والله علمكما ، اكتبوا له أمانه ، وأحسنوا جائزته ، واحملوه إلى أهله .

٢٨٣ - رجل

أرسل إليه عمر بن عبد العزيز فقال : كيف الحديث الذي حدثني عن الصنابحي ؟ فقال :

أخبرني الصنابحي أنه لقي عمرو بن عبسة^(١) فقال : هل من حديث عن رسول الله ﷺ لا زيادة فيه ولا نقصان ؟ قال : نعم ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضواً منه من النار ، ومن رمى بسهم في سبيل الله بلغ أوقصر كان عدل رقبة ، ومن شاب شيبة في سبيل الله كان له نوراً يوم القيامة .

٢٨٤ - شيخ ضريب من الجزيرة

من ملازمي المسجد .

لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة خرج مما كان في يده من القطائع ، وكان في يده

(١) في الأصل : عبسة ، وهو تصحيف .

المكندس وجبل الورس باليمن وفَذَكَ وقطائع اليمامة ، فخرج من ذلك كَلَّه ورَدَّه إلى المسلمين إلا أنه ترك عينا^(١) بالسويداء^(٢) كانت تأتيه غَلَّتْهَا كلُّ سنة مئة وخسينَ ديناراً ، وأقل وأكثر ، فذكر له يوماً مزاحم أن نفقة أهله قد فنيت . فقال : حتى تأتينا غَلَّتْنا ، فقدم قِيَمَهُ بَقَلَّتْهُ وبجرباب تمر صِيْحَانِي^(٣) ، وبجرباب تمر عجوة ، فنثره بين يديه ، وسمع أهله بذلك ، فأرسلوا ابناً له صغيراً فحفن له من التمر ، فانصرف ولم يَنْشَبْ أن سمعنا بكاءه ، ويضرب ، ثم أقبل يؤم الدنانير فقال : أمسكوا يديه . ورفع يديه فقال : اللهم ، بَغْضُها إليه كما حُببَها إلى موسى بن نصير ، ثم قال : خَلَوْه . فكأنما يرى به عقارب . ثم قال : انظروا [١١٥ / أ] الشيخ الجزري المكفوف الذي يغدو إلى المسجد بالأسحار فغذوا له ثمن قائد لا كبير فيقهره ولا صغير فيضغف عنه . ففعلوا . ثم قال لمزاحم : شأنك بما بقي فأنفقه على أهلك .

٢٨٥ - رجل من بني مروان ابن الحكم

قال عمر بن عبد العزيز لآذنه : لا يدخلن عليّ اليوم إلا مَرْوَانِي ، فلما اجتمعوا عنده ، حمّد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعدُ ، فإنكم يا بني مروان قد أعطيتُم في الدُّنيا حظاً وشرفاً وأموالاً ، إني لأحسب شطر مال هذه الأمة أو ثلثه في أيديكم ، فردُّوا ما في أيديكم من هذا المال . فسكتوا . قال : ألا تجيبوني ؟ فسكتوا . قال : ألا تجيبوني ؟ فتكلم رجل من القوم قال : لا والله لا يكون ذلك أبداً حتى يحال بين رؤوسنا وأجسادنا ، والله لا نكفر آبائنا ولا نفقر أبناءنا . قال عمر : أما [والله]^(٤) لولا أن تستعينوا عليّ بمن أطلب هذا الحقّ له لَأَضْرَعْتُ خدودكم^(٥) ، قوموا عني .

(١) أي ناحية . اللسان : عين .

(٢) قرية بحوران من نواحي دمشق . معجم البلدان : ٢٨٦/٣

(٣) ضرب من تمر المدينة . اللسان : صيح .

(٤) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا يقتضيها السياق .

(٥) أي أذللتها . اللسان : ضرع .

٢٨٦ - مؤذن عمر بن عبد العزيز

حدّث عن مسلم بن يسار

عن عائشة أنّ رسول الله ﷺ كان إذا غضبت أخذ بأنفها وقال : يا عويش ، قولي اللهم ربّ النبي محمد ﷺ ، اغفر ذنبي ، وأذهب غيظ قلبي ، وأجرني من مضلّات الفتن .

٢٨٧ - رجل وقد على عمر بن عبد العزيز

قال : أتاني آتٍ في منامي فقال لي : إذا قام أشجّ بني مروان فانطلق فبايعه فإنه إمام عدل . فجعلت أسأل كلما قام خليفة حتى قام عمر بن عبد العزيز ، فأتاني ثلاث مرات في المنام ، فلما كان آخر ذلك زبرني وأوعدني ، فرحلت إليه ، فلما قدمت لقيته فحدثته الحديث فقال : ما اسمك ؟ ومن أين أنت ؟ وأين منزلك ؟ قلت : بخراسان . قال : ومن أمير المكان الذي أنت به ؟ ومن صديقك هناك ومن عدوك ؟ فألطف المسألة ، ثم حبسني أربعة أشهر . فشكوت إلى مزاحم ، مولى عمر بن عبد العزيز [١١٥/ب] فقال : إنه قد كتب فيك . قال : فدعاني بعد أربعة أشهر فقال : إني كتبت فيك فجاءني ما أضرّ به من قبل صديقك وعدوك ، فبايعني على السّمع والطاعة والعدل ، فإذا تركت ذلك فليس لي عليك بيعة ، فبايعته . قال : ألك حاجة ؟ فقلت : لا ، أنا غنيّ في المال ، إنما أتيتك لهذا . فودّعته ومضيت . فقلت بيني وبين نفسي وهو يراني ، وذكرت بُعد أهلي وطول المسير إليهم فقلت : لو حملني على البريد . فالتفت ، فرآني ، فدعاني فقال : ألك حاجة ؟ فقلت : نعم ، شيء إن لم يثقل عليك ؛ ذكرت بُعد أهلي ، وطول المسير فقلت : لو حملني على البريد . فقال : ما ذلك لك ، ولا لنا . قال : فكث هنيهة ثم قال : هل لك أن تعمل لنا عملاً وأحملك ؟ فقلت : نعم . قال : لا تأت على عامل لنا إلا نظرت في سيرته ، فإن كانت حسنة لم تكتب بها ، وإن كانت قبيحة كتبت بها . قال مزاحم : فما زال كتاب منه يجيئنا في عامل فنعزله حتى قدّم خراسان .

٢٨٨ - رجل من بني أسد

حَرَبِيُّ لَعْمَر بن عبد العزيز قال :

مارأيت عمر قتل أسيراً قط إلا واحداً من التُّرك [جبي بأسارى من التُّرك]^(١) فأمر بهم أن يُسْتَرْقُوا ، فقال رجل ممن جاء بهم : يا أمير المؤمنين ، لو رأيت هذا - لأحدم - وهو يَفْتِكُ في المسلمين لكثُر بكاؤك عليهم . فقال عمر : فدوّنك فاقتله . ففَتَلَه .

٢٨٩ - رجل من حَرَس عمر بن عبد العزيز

قال : خرج علينا عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة ، فقمنا . فقال : إذا رأيتموني فلا تقوموا ، ولكن توسّعوا . ثم قال : أيكم يعرف بيت فلان ؟ فقلنا : كلنا نعرفه . قال : فليقم أحدثكم سناً . فقام أحدثنا سناً ، فدعاه له ، [فجاء الرجل]^(٢) وقد تهيأ وشدّ عليه ثيابه . فقال عمر : إنا بعثناك في أمر عَجَلٍ من أمر المسلمين ، فلا يحملك استعجالنا لك على أن تخرج حتى تصلّي الجمعة ، فإن اليوم الجمعة ، وإذا حضرت الصلاة ، فصلّها لوقتها ، فإنك لا محالة أن تصلّيها ، وإن الله ذكر قوماً فقال : ﴿ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ [١١٦/١] وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾^(٣) ولم تكن إضاعتهم إياها أن تركوها ، ولو تركوها لسمّاهم بتركها كُفَّاراً .

٢٩٠ - شيخ

حَرَبِيُّ لَعْمَر بن عبد العزيز .

قال : رأيت عمر حين وَلِيَ وبه من حسن اللُّون ، وجودة الثياب والبُرّة ، ثم دخلت عليه بعُدّ وقد ولي فإذا هو قد احترق واسودّ ، ولصق جلده بعظمه حتى ليس بين الجلد

(١) ما بين حاصرتين ليس في الأصل ، والمثبت من تاريخ ابن عساکر س : ١٧٠/١٩ . آ .

(٢) ما بين حاصرتين ليس في الأصل ، والمثبت من تاريخ ابن عساکر س : ١٧٠/١٩ . ب .

(٣) سورة مريم : ٥٩/١٩

والعظم لحم ، وعليه قَلَنْسُوة بيضاء قد اجتمع قُطْنُها ، تعلم أنها قد غُسِلَتْ ، وعليه سَخُوق^(١) إنجانية قد خرج سَدَاها وهو على شاذْكَوْنَةٍ^(٢) قد لصقت بالأرض ، تحت الشاذْكَوْنَةِ عباءة قَطْوَانِيَّة^(٣) من مشاقَّة^(٤) الصَّوْف ، فأعطاني مالا أَتَصَدَّقُ به بالزَّقَّة فقال : لا تقسمه إلَّا على نهر جار . فقلت له : يأتيني مَنْ لا أعرف ، فمن أعطني ؟ قال : مَنْ مَدَّ يده إليك .

٢٩١ - حَرَسِي لعمر بن عبد العزيز

دخل رسولٌ لبعض الولاة على عمر بن عبد العزيز ، ومعه حَرَسِي لعمر ، فجعل الرسول إذا كلم عمر كلمة زجره الحرسى وانتهره ، حتى فرغ من قراءة كتابه فقال : كن قريباً . ثم دخل رسول آخر ومعه ذلك الحرسى ، فكلم عمر ، لا يَنْدَهه^(٥) ولا يمنعه ، حتى فرغ من قراءة كتابه فقال : كن قريباً ، ثم أرسل عمر إلى الرسول الأوَّل فقال له : أ رأيت الحرسى الذي كان دخل معك ، هل تعرفه ؟ قال : لا . قال : إن الله قد أفطنني لمنعه إياك من الكلام فنفعك ذلك ولم يضرك ، فارفع إليَّ حاجتك . فلم يسأله شيئاً إلَّا أعطاه إياه ، ثم أرسل إلى الرسول الثاني فقال : هل بينك وبين الحرسى الذي دخل معك معرفة ؟ قال : نعم ، هو صديقي وجاري . قال : أما أنه قد حاباك ، وجهد أن ينفعك فألقي في رُوعي لا تصيب مني شيئاً ، فلولا أن تكون مني مُرَاغَمَةً في منع رزق ، لم تصب مني شيئاً ، وسأمر لك بمعروف . ثم أرسل إلى الحرسى فقال : ويلك ، وليت أمر رجلين بين يدي فلم تعدل بينهما ، فكيف الأمر على ما [١١٦/ب] ابتليت به ؟ فاختر مني أحد أمرين : إما أن تأذن لي فألقبك لقباً ، وإما أن أحوك من الحرس . قال : بل تُعفيني . قال : لا . قال : فيأني أختار أن تلقبني . فسماه الجانف ، فكان إذا رآه يقول : ادعوا لي الجانف ، فيقول : يا أمير المؤمنين ! فيقول : ما سببت ، هو شرطي عليك . فلم يزل كذلك حتى مات .

(١) السحق : الثوب الخلق البالي . اللسان : سحق .

(٢) ثياب غلاظ مضربة تعمل بالين . القاموس : شذن .

(٣) القطوانية : عباءة بيضاء قصيرة الخُتْل ، والنون زائدة . اللسان : قطا .

(٤) أي ماخلص منه ، وقيل : هو ماطار وسقط عن المشق . اللسان : مشق .

(٥) أي لا يزجره . اللسان : نده .

٢٩٢ - رَجُلٌ مِنْ حُرْسِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ

قال : بينما عمر يسير على بغلته بِخُنَاصِرَةٍ^(١) إذ جاء رجل متزرب يزود ، متمصّب بآخر
حق أخذ بلجام بغلته ، ما يَنْهِنُهُ^(٢) أحد فقال : [من البسيط]

تدعون حرّان مظلوماً ليأتاكم فقد أتاكم لعند الدار مظلوم

فقال : مِمَّنْ أنت ؟ قال : من حَضِرَ موت . قال : ما ظلامتك ؟ قال : أرضي ،
وأرض آبائي أخذها الوليد وسليمان فأكلوها . فنزل عمر عن دابّته يتكئ حتى جلس
بالأرض . فقال : مَنْ يعلم ذلك ؟ قال : أهل البلد قاطبة . قال : يكفيني من ذلك شاهداً
عَدْل . اكتبوا له إلى بلاده ، إن أقام شاهدي عَدْلٍ على أرضه وأرض آبائه وأجداده ،
فادفعوها إليه ، فحسّب الوليد وسليمان ما أكلا من غَلَّتْها . فلما ولى الرجل قال : هل
هلك لك من راحلة ، أو أخلق لك من ثَوْب ، أو نفد لك من زاد ، أو تحرق لك من
حذاء ؟ فحسّب ذلك ، فبلغ اثنين وثلاثين ديناراً أو ثلاثة وثلاثين ديناراً . فأقى بها من
بيت المال ، فكأنّي أنظر إليها تُعَدُّ في يده .

٢٩٣ - رَجُلٌ

من كان في جيش مَسْلَمَة بن عبد الملك في غزوة القُسْطَنْطِينِيَّة .
وقد على عمر بن عبد العزيز فقال : يا أمير المؤمنين ، إن بلاني كذا ، ومن أمري
كذا . فالتفت إلى بعض جلسائه فقال : أما يريد هؤلاء أن يستبقوا لآخرتهم شيئاً ؟ !

٢٩٤ - رجل

من العلماء .

قدم على عمر بن عبد العزيز . فقال : الصامت على علم كالتكلم على علم . فقال عمر :

(١) بليدة من أعمال حلب تحاذي قنسرين نحو البادية . معجم البلدان : ٣٩٠/٢

(٢) أي ما يزرجه أحد . اللسان : نهته .

إني لأرجو أن يكون المتكلم على علم أفضلها يوم القيامة حالاً [١١٧/أ] وذلك أن منفعته للناس ، وهذا صمته لنفسه . قال : يا أمير المؤمنين ، وكيف بفتنة المنطق ؟ فبكى عمر بكاءً شديداً .

٢٩٥ - خَصِيٌّ لِعمر بن عبد العزيز

حدَّث أن عمر لم يقتل في داره قط إلا بمئزر .

٢٩٦ - مولى لعمر بن عبد العزيز

حدَّث عن أبي بُردة ، عن أبيه ، عن النبي ﷺ .

﴿ يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ ^(١) قال : عن نور عظيم ، يَخْرُونَ له سُجْدًا .

٢٩٧ - رجل

سمع عمر بن عبد العزيز وهو خليفة في يوم فطر على المنبر يقول : إن شعار هذا اليوم التحميد والتكبير والتمجيد . ثم كَبَّرَ مراراً ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد ، ثم يَشْهَدُ للخطبة ، ثم يفصل بين التشهد بتكبير .

٢٩٨ - أَعْرَابِي دَخَلَ عَلَى عمر

فقال : رجلٌ من أهل البادية ، ساقته الحاجة ، وانتهت به الفاقة ، والله سائلك عن مقامي هذا . فقال عمر : ماسمت كلمات أبلغ من قائل ، ولا أبلغ لمقول منها .

٢٩٩ - شيخ حَدَّثَ في الشَّرَاب

قال عمر بن عبد العزيز : لأجلَدَنَّ في الشَّرَابِ كما فعل جدي عمر بن الخطاب رضي الله عنهما . ثم أمر صاحب عَسِيهِ وضم إليه صاحب خبره ، وقال لهما : من وجدتهما سكران

(١) سورة القلم : ٤٢/٦٨

فأتيناني به . فطافا ليلتهما حتى انتهيا إلى بعض الأسواق ، فإذا هما بشيخ حسن الشبيبة ، بهي المنظر ، عليه ثياب حسنة ، متلوث في أثوابه سكران وهو يتغنى : [من الطويل]

سقوني وقالوا لاتغنّ ولو سقوا جبال حنين ماسقوني لغنّ

فحرّكاه بأرجلهما وقالا له : ياشيخ ، ماتستحي بهذه الشبيبة الحسنة من مثل هذه الحال ؟ فقال : ارفقا بي ، فإن لي إخواناً أحدث الأسنان شربت عندهم ليلتي هذه ، فلما عمل الشراب فيّ أخرجوني ، فإن رأيتم أن تعفوا عني فافعلوا [١١٧/ب] فقال صاحب العسس لصاحب الخبر : اكتمّ عليّ أمره حتى أطلقه . قال : قد فعلت . قال : انصرف ياشيخ ولا تعد . فقال : نعم ، وأنا تائب ، فلما كان [في]^(١) الليلة الثانية وجدا الشيخ على حاله وهو يتغنى : [مجزوء الحفيف]

إنما هيج البلا حين غصّ السفر جلا
فرماني وقال لي كن بعيني مبتلى
ولقد قام لحظه لي على القلب بالقلّى

فحرّكاه بأرجلهما وقالا له : ياشيخ ، أين التوبة منك ؟ فقال : ارفقا بي واعلم أن إخواني الذين ذكرتهم لكما البارحة حلفوا لي في يومهم هذا أنه متى عمل الشراب لا يخرجوني ، فعمل فيهم وفيّ فخرجت وهم لا يعلمون ، فإن رأيتم أن تزيدا في العفو فافعلوا . فقال صاحب العسس لصاحب الخبر : اكتمّ عليّ أمره حتى أطلقه . قال : قد فعلت . قال : انصرف . فلما طافا [في]^(١) الليلة الثالثة وجداه على حاله يتغنى : [من الحفيف]

أرض عني فطالما قد سخطنا أنت مازلت جافياً مذرّعنا
أنت مازلت جافياً لا وصولاً بل هذا - فدتك نفسي - ألفتنا
ما كذا يفعل الكرام بنو النسا س بأجابه فلم كنت أتنا ؟

فحرّكاه بأرجلهما وقالا : هذه الثالثة ولا عفو . قال : أخطأنا ، فياني رويت بسندي إلى أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : مَنْ شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين ليلة ، فإن تاب تاب الله عليه . فإن شربها [الثانية] لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فإن تاب تاب الله

(١) ما بين حاصرتين ليست لي الأصل ، ولثبت من تاريخ ابن عساكرس : ١٧١/١٩ ب .

عليه ^(١) [فإن شربها الثالثة لم تقبل له صلاة أربعين ليلة ، [فإن تاب تاب الله عليه] ^(٢) فإن شربها الرابعة لم تقبل له صلاة أربعين ليلة ، ثم تاب لم يتب الله عليه ، وكان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخَبَال . قيل : وما طينة الخَبَال ؟ قال عصارة أهل النار في النار .

قال : فغفوا من الثالثة واجب ، ومن الرابعة غير واجب . فقال صاحب القسّ لصاحب الخبر : اكنم عليّ أمره حتى أطلقه . قال : قد فعلت . قال : انصرف . فلما كان في الليلة الرابعة وجداه على حاله وهو يتغنى : [من البسيط]

قد كنت أبكي وما حنت لهم إبل	فأقول إذا ما حَمَلَ الثُّقُل
كأنني بك نَضُو ^(٣) لا حراك به	تُدْعَى وأنت عن الداعين في شُغْل ^(٤)
فقلبك بآيديهم هناك وقد	سارت بأجاسك المهرية الذُّكُل
حق إذا استياسوا من أن تحببهم	غطوا عليك وقالوا قد قضى الرجل

فحرّكه بأرجلهما وقالوا : هذه الرابعة ولا عفو . قال : لست أسألكما عفواً بعدها ، فافعلوا ما بدا لكما ، فحملاه فأوقفاه بحضرة عمر بن عبد العزيز ، وقصّاً عليه قصته من أولها إلى آخرها ، فأمر عمر رضي الله عنه باستنكاهه ^(٥) فوجد منه رائحة ، فحبسه حتى أفاق ، فلما كان في الغد أقام عليه الحد ، فجلده ثمانين جلدة . فلما فرغ قال له عمر : أنصف يا شيخ من نفسك ولا تعد . قال : يا أمير المؤمنين ، قد ظلمتني لأنني عبد ، وحددتني حدّ الأحرار . فاغتمّ عمر . فقال : أخطأت علينا وعلى نفسك ، أفلا أخبرتنا أنك عبْد فنحكك حد العبيد ؟ فلما رأى اهتمام عمر به ردّ عليه وقال : لا يسوءك الله يا أمير المؤمنين ، ليكن لي بقية هذا الحدّ سلفاً عندك ، لعلّي أرفع إليك مرّة أخرى . فضحك عمر حتى استلقى على مسنده ، وكان قليل الضحك ، وقال لصاحب عَسْسه وصاحب خبره : إذا رأيتما مثل هذا الشيخ في هيئته وعلمه وفهمه وأدبه فاحملا أمره على الشبهة ، فإن رسول الله ﷺ قال : اذْروْا الحدودَ بالشُّبْهَة ^(٦) .

(١ - ١) ما بين حاصرتين ليس في الأصل ، ولثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٧٢/١٩ آ

(٢) في الأصل : نصر ، وقد وضع إلى جانبها حرف ط . ولثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٧٢/١٩ آ . والنضو : البعير المهرول ، وقد يستعمل في الإنسان . اللسان : نضا .

(٣) كذا في الأصل ، وفيه إقواء ، وفي المعجم لابن الأثير : ٢٢٢ مشتل ، وبها ينتهي الإقواء .

(٤) أي بشم رائحة له . اللسان : نكه .

(٥) الخبر مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ في « المعجم » لابن الأثير : ٢٢٩ - ٢٣٢

٣٠٠ - شَابٌ

دخل قَوْمٌ على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه ، وإذا فيهم شابٌ دأثر^(١) ناحل الجسم فقال له عمر : ما الذي بلغ بك ما أرى ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، أمراض وأسقام . قال : سألتك بالله إلا صدقتني . فقال : يا أمير المؤمنين ، ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرّة ، فصَغَرُ في عيني زهرتها وحلاوتها ، واستوى عندي حَجَرُها وذَهَبُها ، وكأني أنظر إلى عرش ربي ، والنَّاسُ يساقون إلى الجنة والنار ، فأظلمات لذلك نهاري ، وأسهرت ليلي ، وقليل حقير كل ما أنا فيه في جَنبِ ثواب الله وعقابه .

٣٠١ - فَتَى مِنَ الْأَنْصَارِ [١١٨/ب]

دخل على عمر بن عبد العزيز شيخ جليل فقال : يا أمير المؤمنين ، إني دخلت مصر مع مَرَوَانَ ، وغزوت ديرا الجاهم ، وغزوة كذا وغزوة كذا ، فتأمر لي بشيء ؟ فقال : اجلس أيها الشيخ . قال : ويثور عند الشيخ يكلمه غلام من الأنصار^(٢) فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا فلان بن فلان ، أبي من شهد العقبة وبَدْرًا وأحداً . وذكر مغازي - فقال عمر : أين الشيخ ؟ فقال : ها هوذا . فقال : هذه المكارم ، لا ما يعده الشيخ منذ اليوم : [من البسيط]

تلك المكارم لا قَعَبَان من لَبَنٍ شيبا بماء فصارا بعد أبوالا^(٣)

قال : هذا الأنصاري هو رجل من ولد قتادة بن النُّعْمَان ، كما رُوي أنه وَقَدَ على عمر بن عبد العزيز ، فقال له عمر : مَنِ الرجل ؟ قال : [من الطويل]

أنا ابن الذي سألت على أحد عينه فردّت بكف المصطفى أحسن الرد
فعادات كما كانت لأول عهدِها فيا حسن ما عيني ويا طيب ما يد^(٤)

(١) في الأصل : دانا وعلى الهامش حرف ط . والمثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٧٢/١٩ آ

ودثر الرجل : إذا علته كِبَرَةٌ وإِسْتِنَان . اللسان : دثر .

(٢) في سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي : ٧٦ . ويثور غلام من الأنصار .

(٣) البيت لأبي الصلت بن ربيعة الثقفي ، وهو من قصيدة طويلة منسوبة له . انظر الشعر والشعراء :

٤٣١/١ - ٤٣٣ . وسيرة ابن هشام : ٦٧/١ - ٦٨ ، القعبان : تشنية قعب ، وهو قذح يحلب فيه . وشيبا : أي مزجا .

(٤) في الأصل : مايدي . وعلى الهامش حرف ط .

قال عمر بن عبد العزيز : [من البسيط]

تلك المكارم لا قَعْبَان من لبن - البيت .

٣٠٢ - شابٌّ مِنَ الكوفة

كان لفاطمة ابنة عبد الملك ، زوجة عمر بن عبد العزيز جارية ذات جمال فائق ، وكان عمر مُعجِباً بها قبل أن تُنْضِي إليه الخلافة ، فطلبها منها ، وحرَّص ، فأبت عليه ، وغارت من ذلك ، وبقيت في نفس عمر . فلما استُخْلِفَ أمرت فاطمة فأصلحت الجارية وحلَّيت ، وكانت حديثاً في حُسْنِها وجمالها ، ثم قالت فاطمة : يا أمير المؤمنين ، كنت معجباً بجاريتي فلانة وكنت سألتنيها ومنعتها ، وقد طابت نفسي لك بها ، فدونكها . فاستبانت الفرَح في وجهه وقال : ابعتي بها إليَّ . ففعلت ، فأعجب بها وقال لها : ألقى ثوبك ، فلما هَمَّت أن تفعل قال لها : على رسلك ، أخبريني لمن كنت ؟ ومن أين أبت لفاطمة ؟ قالت : كان الحَجَّاجُ أغرمَ عاملاً من أهل [١١٩/١] الكوفة مالاً ، وكنت في رقيق ذلك العامل ، فاستصفاني عنه مع رقيق له وأموال ، فبعث بي إلى عبد الملك وأنا [يومئذٍ]^(١) صبية ، فوهبني عبد الملك لابنته فاطمة . قال : وما فعل العامل ؟ قالت : هلك . قال : فترك ولداً ؟ قالت : بلى . قال : وما حالهم ؟ قالت : سيئة . قال : شدي عليك ثوبك . ثم كتب إلى عبد الحميد ، عامله ، أن سَرَّحَ إليَّ^(٢) فلان بن فلان على البريد . فلما قَدِمَ ، قال : ارفع إليَّ جميع ما أغرم الحَجَّاجُ أباك . فلم يرفع إليه شيئاً إلا دفعه إليه ، ثم دفع الجارية إليه ، فلما أخذ بيدها ، قال : إياك وإياها ، فإنك حديث السن ، ولعل أباك أن يكون قد وطئها . فقال الغلام : يا أمير المؤمنين ، هي لك . قال : لا حاجة لي فيها . قال : فابتمها مني . قال : لست إذاً من ينهى النَّفسَ عن الهوى . فضى بها الفقى ، فقالت الجارية : أين مَوْجَدَتُكَ بي يا أمير المؤمنين ؟ قال : إنها لعلى حالها ، ولقد ازدادت . فلم تزل الجارية في نفس عمر حتى مات ، رحمه الله .

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ ابن عساكر س : ١٧١/١٩ ب .

(٢) أي أرسل . اللسان : سرح .

٣٠٣ - رجل

من مَرْيَنَة ، كانت عنده قَطِيفَة للنبي ﷺ ، فلما اسْتُخلف عمر بن عبد العزيز أرسل إليه فَأَتَى بها في أديم أحمر ، فجعل يمسح بها وجهه .

٣٠٤ - شَابٌ

من أهل العراق .

وَقَدْ وَقَفَ عَلَى عمر [بن عبد العزيز]^(١) وفيهم شاب ، فتكلم الشاب ، فنظر إليه عمر فحدد النظر ، ثم قال : الكبير ، الكبير . قال الشاب : يا أمير المؤمنين ، ليس بالكبير ولا بالصغر ، ولو كان بالكبر لقد كان في الناس من هو أكبر منك . قال : صدقت ، فتكلم . قال : ماجئناك لرغبة ولالرغبة . فنظر إليه عمر [أيضاً]^(٢) فقال : أما الرُّغْبَةُ فقد أتننا في منازلنا ، وأما الرُّهْبَةُ فقد أَمِنَّا جُورَكَ ، ولكننا وَقَدْ الشكر . فسُرِّي عن عمر وقال : يافتي ، أرى لك عقلاً ، فمظني . قال : إن قوماً اغتروا بالله فيك فأثنوا عليك مما ليس فيك ، فلا يغرك اغترارهم بالله فيك مع ما تعرفه من نفسك . فبكى عمر حتى سقط .

[١١٩/ب] ولي آخر بمعناه :

فقال له : عظمي . فقال : إن من الناس ناساً غَرَّهم الأمل ، وأفسدهم ثناء الناس عليهم ، فلا يغرنك من اغتر بالله فيك ، فَمَدَحَكَ بما علم الله خلافه ؛ وما قال رجل في رجل شيئاً إذا رضي إلا وهو يقول فيه على حسب ذلك إذا سخط . فتهلل وجه عمر وقال : [من الطويل]

تعلم فليس المرء يولد عالماً وليس أخو علم كن هو جاهل
وإن كبير القوم لا علم عنده صغير إذا التفت عليه المحافل

(١) مابين حاصرتين من تاريخ ابن عساكر ١٧/١٩ آ .

(٢) مابين حاصرتين من المصدر السابق .

٣٠٥ - رجل أنصاري

قال إسماعيل بن أبي حكيم :

لما مات سليمان بن عبد الملك انطلقت أنا ومزاحم إلى نفقة كانت لعمر بن عبد العزيز في رحله فغييناها ، ثم أقبلت أريد المسجد ، فلقيني رجل فقال : هذا صاحبك يخطب الناس . فقلت : خليفة ؟ قال : خليفة . فأنتهيت إليه وهو على المنبر ، فكان أول ما سمعته يقول : يا أيها الناس ، إني والله ماسألتها الله في سر ولا علانية قط ، فمن كره منكم فأمره إليه . فقال رجل من الأنصار : يا أمير المؤمنين ، ذاك والله أسرع فيما تكره^(١) ، أبسط يدك فلنبايعك . فكان أول من بايعه الأنصاري هذا .

ومشى عمر في جنازة سليمان ، فلما فرغ من دفنه أتى بمراكب الخلفاء فلم يركب شيئاً منها ، وقال : بغلتي ؟ فركض إنسان إلى العسكر ، وقعد عمر حتى جبي ببغلته ، فركبها ورجع .

وقد كان سليمان أمر أهل مملكته أن يقودوا الخيل بسبقي بينهم ، فمات قبل أن يجري الحلبة ، فأبى عمر أن يجريها ، ف قيل له : يا أمير المؤمنين ، تكلف الناس مؤونات كبيرة ، وقادوها من بلاد بعيدة ، وفي ذلك غيظ للعدو ، ولم يزالوا حتى أجرى الحلبة ، وأعطى السابقين ولم يخيب المسبوقين ، بل أعطاهم دون ذلك ، وكان الناس لقوا جهداً من القسطنطينية من الجوع فأقفل الناس ، وبعث إليهم بالطعام .

٣٠٦ - رجل

[١٢٠ / أ] من البصرة ، وفد لأهل البصرة على عمر بن عبد العزيز ، فلما أتاه قال له : ما بك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، أتيتك مستجيراً . قال : لماذا ؟ قال : كبير العذبة ، قال : وأين العذبة ؟ قال : على منزلتين من البصرة . قال : فقد أخفرتك ، على أن أول وارد ابن سبيل^(٢) قال : ثم دنت الجمعة ، ففربت من المنبر فلما صعدته ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

(١) على هامش الأصل حرف ط .

(٢) كذا الأصل ، ولم أتبين المعنى .

يأأيها الناس ، إنكم ميتون ، ثم إنكم مبعوثون ، ثم إنكم محاسبون ، فلئن كنتم صدقتم لقد قصرتم ، ولئن كنتم كذبتم لقد هلكتم . ياأيها الناس ، إن من يكون له رزق بحضيض الأرض أو بنبوة جبل يأتيه ، فأجملوا في الطلب . ثم نزل .

٣٠٧ - رَجُلٌ

من عُمَالِ الحجاج .

استعمله عمر بن عبد العزيز ، وبلغه أنه كان عاملاً للحجاج فمزله ، فجاءه يعتذر إليه ، ويقلل ماعمل ، فقال له عمر : حَسْبُكَ من صحبة شر وشؤم يومٍ أو بعض يوم .

٣٠٨ - أَغْرَابِي مِنْ كَلْبٍ

قال الأضاعي : أراد عمر بن عبد العزيز أن يمنع الحلبه ، ف قيل له : سوق من أسواق العرب . قال : فتركها أربأ بها^(١) . فلما أرسلت الخيل أقبل أعرابي على فرسٍ وهو يقول : [من الرجز]

غاية مجد رفعت فن لها نحن احتويناها وكنا أهلها

[لو تسفل]^(٢) الطير لجئنا قبلها

فَعَثَرَتْ فرسه ، فسقط ، وتقدّمه رجل من ولد أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - بفرسه . فقال الأعرابي : ياأمير المؤمنين ، قد رأيت ماجرى . قال : قد رأيت ، سبقني وإياك رجل كان أبوه سباقاً إلى الخير ، رحمة الله عليه .

(١) على هامش الأصل حرف ط .

(٢) مابين حاصرتين يياض في الأصل ، وقد وضع على الهامش حرف (ط) ، والمثبت من تاريخ ابن

عساكرس : ١٧٢/١٩ ب .

٣٠٩ - رَجُلٌ

قال في أثناء حديثه : إن أهل حصص رفعوا قِصَّةً إلى عمر بن عبد العزيز : إن مدينتنا قد خَرِبَ حصنها . فوَقَّع في قِصَّتْهم إلى الأمير : ابْنُها بالعدْل ، ونَقَّ طرقاتها من الأذى .

٣١٠ - رجل

وفد على عمر بن عبد العزيز .

صَلَّى عمر ذات يوم ، فلما ذهب ليدخل ، هتف به هاتف : يا أمير المؤمنين . فأقبل عليه مدعوراً . فقال : ما شأنك ؟ أتَعذَّرُ عليك حُجَّتاي أو [قال] ^(١) أذني ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين ، ولكنني قدمت الساعة ، وجئتُك مبادراً [١٢٠ب] قال : مبادراً ماذا ؟ قال : أن تسبقني بنفسك . قال : ولم ؟ قال : لأنني رأيت الخير سريع الذهاب . فجلس عمر وقال : حاجتك ؟ فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، اذكرُ لمقامي هذا مقاماً لا يشغل الله عنك فيه كثرة مَنْ تخاصم إليه من الخلائق يوم تلقاه بلا ثقة من العمل ، ولا براءة من الذَّنْب . قال : فاستبكي - أو قال : بكى - ثم قال : أعد . فأعاد . ثم قال : حاجتك ؟ فأخبره بحاجته .

٣١١ - رجل

مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ .

حدَّث عن أبيه أنه قدم مع محمد بن كعب القُرْظي على عمر بن عبد العزيز . فكان فيما ذاكرنا به أن قال لمحمد : يا أبا حمزة ، ما ضَرَّ أخاك بُشْر بن سعيد التقلل والانتقطاع الذي كان فيه . ثم بكى بكاء شديداً حتى قلت : الآن يسقط . ثم قال : أما والله ، لئن كان بُشْر صبر على القلة والعبادة ، لقد صبر على معرفة وعلم بما صبر عليه .

(١) ما بين حاصرتين من ابن عساکر س : ١٧٤/١٩ آ .

٣١٢ - أَعْرَابِي

جاء إلى عمر بن عبد العزيز فقال : يا أمير المؤمنين ، جاءت بي الحاجة ، وانتهت الغاية ، والله سائلك عما أقول . فقال له عمر : أعد عليّ ما قلت . فأعاد عليه ، فنكس عمر رأسه ، وأرسل عينيه حتى ابتلت الأرض بدموعه ، ثم قال له : ما عيالك ؟ قال : أنا وثلاث بنات لي . ففرض له في ثلاث مئة ، وفرض لبناته لكل واحدة مئة درهم ، وأعطاه مئة درهم . قال : هذه لك ، وإذا خرج عطاء المسلمين أخذت معهم .

٣١٣ - أَعْرَابِي شَاعِر

سرق سرقة في خلافة عمر بن عبد العزيز ، فأمر عمر بقطع يده ، فقال : يا أمير المؤمنين ، اسمع مقالي ، ثم افعل ما ترى . فقال له : [قل ^(١)] ، فأنشأ يقول : [من الطويل]

يميني أمير المؤمنين أعيذها بعفوك أن تلقى نكالا يشينها
ولاخير في الدنيا ولا في نعيمها إذا ما شامال فارقتها يمينها
ولو أن أهلي يعلمون لسيرت إليك المطايا عينها وقطينها

[١٢١/آ] فقال : يا أعرابي ، هذا حدٌ من حدود الله ، وتتركه ذنب . فقال : يا أمير المؤمنين ، اجعل هذا من الذنوب التي تستغفر الله منها . فأمر بتخليته .

٣١٤ - رَجُل

من أهل اليمامة ، أتى عمر بن عبد العزيز ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إني قد بلغت غايتي ، والله سائلك عن مقامي هذا . قال : قل . قال : عاملك باليمامة غصبي حقّي ، واعتدى عليّ في إبلي . قال : فإن الله قد عزل عنك العامل ، ورّد عليك ظلامتك . يا غلام ، اكتب إليه . فخرج الأعرابي وهو يقول : [من الرجز]

يا أيها المظلوم في بلاده انت الأمير عمراً فنساده

(١) ما بين حاصرتين ليس في الأصل ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٢٤/١ ب .

خليفة الله على عباده لم يؤثر الدنيا على معاده
قد أشبه الفاروق من أجداده

٣١٥ - شاعر

رثي عمر بن عبد العزيز .

لما شكى عمر شكواه الذي هلك فيه قال : اشتروا من الزاهب موضع قبري . فاشترى
منه موضع قبره ستة دنائير ، فقام الشاعر يرثيه : [من البسيط]

قد غادر القوم في اللحد الذي لحدوا بدير سَمْعان جريان الموازين
أقول لما نعى لي ناعياً^(١) عمراً لا يبعذن قضاء المدل والسدين^(٢)

٣١٦ - بعض آل المهلب

قال يزيد بن عبد الملك لبعض ولد المهلب حين أتى بهم أسرى : كيف رأيتم الله صنع
بكم ؟ فقالوا : يا أمير المؤمنين ، قوم زرعتهم الطاعة ، وحصدتهم المعصية .

٣١٧ - شاعر

مات خليفة^(٣) ليزيد بن عبد الملك فقال : هل ترك من خلف ؟ قالوا : ترك ابناً
له . فأدخل عليه فقال : يا بني ، إلى من أوصى بك أبوك ؟ فأطرق ساعة حتى ظنَّ يزيد أنه
قد أنعم ، ثم رفع رأسه وقال : [من الخفيف]

إن مثلي يوصي الرجال إليه ليس مثلي يوصي به الآباء
إنني والذي يحج له النا س ومن دون بيتته البيداء

(١) كذا في الأصل .

(٢) البيتان في الكامل للمبرد : ٢٧٧/٢ مع اختلاف في اللفظ ، ومن غير نسبة ، وفي الكامل لابن الأثير : ٥٩٥
نسبهما إلى كثير عزة ، ولم أجدهما في ديوانه .

(٣) كذا في الأصل ، وقد وضع على الماشح حرف (ط) .

لملي بما يؤمل في المرء وإن كان في أخيك فتاء
فأمر له يزيد بأرزاق أبيه .

٣١٨ - [١٢١/ب] شيخ من ثقيف

من أهل الحجاز ، وفد على الوليد بن يزيد - وهو ولي عهد - في خلافة هشام .
قال طَرِيح بن إسماعيل الثَّقَفي : كنت عند الوليد ، فدعا بالشَّطْرُنْج فأخذت معه
فيها ، فدخل الأذن فقال : بالباب رجل من أخوالك له نُبُل وهَيْئَة يستأذن ، فقال : أمّا
هذا الوقت فلا ، فيأني مقبل على ماترى . فقلت له : سبحان الله ! يأتيك رجل من
أخوالك مُسَلِّماً فتحجبه ؟ قال : كيف بنا ونحن على هذه الحال ؟ فقلت : ترفع الشَّطْرُنْج ،
وتأذن له . فقال : ذاك لما اتجهت عليك ! فقلت : يَغْطِي بمنديل وتنحرف ، ويدخل
لحظة وينصرف . ففعل ، وأذن له . فدخل رجل جسيم مُعْتَمِّ على قَلَنْسُوة مشرفة ، مشمراً
ثيابه في زيِّ الفُقهاء ، بين عينيه سَجَّادَة^(١) ، فسَلَّمَ ، وجلس ، وقال : أيها الأمير ، خرجتُ من
المدينة أريد عَسْقلان^(٢) للرباط بها ، فأحببت أن أؤدي حَقَّ القَرابة والرحم . فقال له
الوليد : وصلك الله ياخال ، وأحسن جزاءك . ثم أقبل عليه الوليد فقال : ياخال ، كيف
حفظك لمغازي أهل بلدك ، لعلك تفيدنا منها أحرفاً . قال : ما أحفظ منها شيئاً . قال :
فكيف علمك بالسُّنة ونظرك في الفرائض ؟ قال : ما نظرت في شيء من ذلك . قال :
فكيف روايتك لشِعْر قومك ، وغيرهم من الشعراء ؟ قال : ما أروي منه شيئاً . قال :
فكيف علمك بأيام العرب ، وأخبارها ؟ قال : قد أغفل خالك ذلك . قال : فعسى أن
يكون هُلك مصروفاً إلى معنى آخر من مفاكهات أهل المدينة ومزاحاتهم ؟ قال : خالك يربأ
بنفسه عن ذلك . قال الوليد : يا غلام ، ارفع المنديل . العب يا طَرِيح ، فليس معنا أحد .

٣١٩ - رجل

أتى هشام بن عبد الملك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن عبد الملك أقطع جدي قطيعةً ،
فأقرها الوليد وسليمان ، حتى إذا استخلف عمر - رحم الله عمر - نزعها . قال : إن فيك

(١) السجادة : أثر السجود . اللسان : سجد .

(٢) مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين . معجم البلدان : ١٢٢/٤

لعجباً ، إنك تذكر من أقطع جدك ، ومن أقرها في يده ، فلا ترحم عليه ، وتذكر من نزعها فترحم عليه ؟ قُم^(١) ، فإننا قد أمضينا ما صنع عمر ، رحم الله عمر .

٣٢٠ - أعرابي

[١٢٢ / آ]

وقد على هشام بن عبد الملك يتظلم من بعض عماله فقال : إن فلاناً من رفعت خسيسته ، وأثبت ركنه ، وأعليت ذكره ، وأمرت به بشر محاسنك ، فطواها ، وإظهار مكارمك ، فأخفاها ، وعمد إلى أمورك في رعيته فتعداها ، استخفاها بالحرمة ، وقلة شكر النعمة ، قد أخرب البلاد ، وأضاع الأجناد ، وأظهر الفساد ، وأخرج الناس من سعة العدل إلى ضيق الجور ، حتى باعوا الطارف والتلاد ، وهو يبيع النسل والأولاد . فقال هشام : يا أعرابي ، أحقاً ما تقول ؟ قال : نعم ، والذي بلفك أعلى مراتب الشرف ، والله لو كان على سويقة من أسواق البحرين ما أجزأها ، مع أنه يخلط ذلك بلوم الحسب وذفر النسب وسوء الأدب .

٣٢١ - رجل

من جلساء هشام بن عبد الملك .

قال العُتبي : كان عند خالد بن عبد الله ذات ليلة فقهاء من أهل الكوفة ، فيهم أبو حمزة الثمالي . قال خالد : حدثني حديثاً كحديث عشيق ليس فيه فحش . فقال أبو حمزة : زعموا أنه ذكر عند هشام بن عبد الملك غدر النساء وسرعة تزويجهن فقال هشام : يبلغني من ذلك العجب . فقال بعض جلسائه : أنا أحدثك عما بلغني . كان رجل يقال له غسان بن جهضم بن العذافر ، كانت تحته ابنة عم له يقال لها أم عقبة بنت عمرو بن الأبيجر ، وكان لها محباً ، وهي له كذلك ، فلما حضره الموت ، وظن أنه مفارق الدنيا قال ثلاثة أبيات ، ثم قال : يا أم عقبة ، اسمعي ما أقول ، وأجيبيني بحق ، فقد تآقت نفسي إلى مسألتك عن نفسك بعدما تواريني التراب . فقالت : قل ، فوالله لأجيبك بكذب ، ولأجعلنه آخر حظك مني . فقال وهو يبكي بكاء يمنعه من الكلام : [من الخفيف]

(١) مستدركة على هامش الأصل .

أخبريني ماذا تريد من بعدي والذي تضرين يأم عقبه
تحفظيني من بعد موتي لِمَا قد كان مني من حسن خلق وصحبه
أمر تريد من ذا جمال ومال وأنا في التراب في سجن غربه

فأجابته بيبكاء وانتحاب : [من الخفيف]

[١٢٢/ب] قد سمعنا الذي تقول وما [قد]^(١) خَفَّتْه يا غسان من أم عقبه
أنا من أحفظ النساء وأرعاه لما قد أوليت من حسن صحبه
سوف أبكيك ما حييت بشجو ومراثٍ أقولها وبنديته

فلما قالت ذلك طابت نفسه ، وفي النفس ما فيها فقال : [من الخفيف]

أنا والله واثق بك لكن ربما خفت منك غدر النساء
بعد موت الأزواج يا خير من عو شَرَّ فارعي حقي بحسن الوفاء
إنني قد رجوت أن تحفظني العهد سد فكوني إن مت عند الرجاء

ثم مات ، فلم تلبث بعده إلا قليلاً ، وخطبت من كل جانب ، ورغب فيها الأزواج
لاجتماع الخصال الفاضلة فيها ، من العقل والجمال والعفاف والحسب ، فأجابتهم : [من
الطويل]

سأحفظ غساناً على بُعْد داره وأرعاه حتى نلتقي يوم نُحْشَرُ
وإني لفي شغل عن الناس كلهم فكفوا ، فما مثلي بمن مات يغدر
سأبكي عليه ما حييت بعبرة تجول على الحُددِين مني فتكثر

فأيس الناس من إجابتها ، ومُرَّت بها الأيام فنسيت عهده وقالت : من مات فات .
فأجابت بعض خطَّابها ، فتزوَّجها ، فلما دخلت عليه جاءها غسان في النُّوم فقال : [من
الطويل]

غدرت ولم ترعي لبعلك حرمة ولم تعرفي حقاً ولم تحفظي عهداً
ولم تصبري حولاً حفاظاً لصاحب حلفت له يوماً ولم تنجزي وعداً

(١) ما بين حاصرتين ليس في الأصل ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر ص : ١٧٥/١٩ ب .

غدرت به لما ثوى في ضريحه كذلك يُنسى كل من يسكن اللحد

فانتبهت مرتاعة ، مستحيية منه ، كأنه بات معها في البيت ، وأنكر ذلك من حضرها من نسائها ، فقلن : ماذا ؟ فقالت : ما ترك غسان لي في الحياة إرباً ، ولا بعده رغبة في سرور ، أتاني في منامي الساعة فأشددني كذا وكذا . وهي تبكي بدمع غزير ، فلما سمعن منها ، أخذن في حديث آخر لتنسى ما هي فيه ، فتغافلتن ، ثم قامت [١٢٣ / آ] فلم يذكركها حتى ذبحت نفسها حياء مما كادت تتركب بعده من الغدر به . فقالت امرأة منهن : بلغنا أن امرأة أتاها زوجها في المنام فلامها وأنها في مثل هذا ، فأما القتل فما سمعنا به ، وكانت قائلة هذا صاحبة شعر ورجز فقالت : [من المحدث]

لَقِيتِ مِنْ غَسَّانٍ	مَاذَا صَنَعْتَ وَمَاذَا
يَاخِيَةَ النِّسْوَانِ	قَتَلْتَ نَفْسَكَ حَزْناً
هَمَّتِ بِالْمِصْيَانِ	وَفِيَتْ مِنْ بَعْدِ مَا قَدِ
لَمْ يَزَلْ بِكَانٍ	إِنْ الْوَفَاءَ مِنَ اللَّهِ

فلما بلغ زوجها ، ويقال له المقدم بن حبيش وكان أعجب بها فقال : ما كان لي مستمتع بعد غسان ، وقال : هكذا فليكن النساء في الوفاء ، وقُلْ من يحفظ ميثاً ، إنما هي أيام قلائل [حتى يُنسى وعنه يُسلى]^(١) فقال هشام : صدق وبر ، لجاد ما أدركه عقله ، وحسن عزائه حين فاتته طلبته ، وأحسن المرأة ووفت ، وأحسن الرجل وصبر .

٣٢٢ - شيخ من الشام

كان في صحابة هشام بن عبد الملك .

سأله أبو جعفر المنصور عن تدبير هشام في بعض حروبه للخوارج ، فوصف الشيخ له فقال : فعل رحمه الله كذا ، وصنع رحمه الله كذا ، قال له المنصور : قم ، عليك لعنة الله ، تطأ بساطي ، وتترحم على عدوي ؟ فقام وهو يقول : إن نعمة عدوك لقلادة في عنقي لا يَنْزِعُهَا إِلَّا غَاسِلِي . فقال له المنصور : ارجع يا شيخ . فرجع فقال : أشهد أنك نهيض

(١) ما بين حاصرتين ليس في الأصل ، وللمثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٧٦/١٩ . آ .

حُر^(١) ، وغراس شريف ، غُذِلَ إلى حديثك . فعاد الشيخ في حديثه . فلما فرغ دعا له بمال فأخذه وقال : يا أمير المؤمنين ، ما بي حاجة إليه ، ولقد مات من كنت في ذكره ، فما أحوجنني إلى وقوف في باب أحد بعده ، ولولا جلالة أمير المؤمنين وإيثار طابعته مالبست لأحد بعده ثوباً . فقال له المنصور : مت إذا شئت ، لله أنت ، فلم يكن لقومك غيرك كنت قد أبقيت لهم مجداً مخلداً ، وذكرأ باقياً .

وقيل : إن الربيع هو الذي قال له : كم تترحم على عدو أمير المؤمنين ! ! فقال له الرجل : مجلس أمير المؤمنين أحقُّ المجالس بشكر المحسن ، ومجازاة المجمل . فقال له المنصور : أحسنت بارك الله عليك ، وبحسن المكافأة تُستحق الصنائع [١٢٣/ب] وتزكو العوارف . ثم أدخله في خاصته .

٣٢٣ - رجل

من أصحاب هشام .

قال الزُّهري : لقد تكلم اليوم عند أمير المؤمنين ، ماسمعت كلاماً أحسن منه . قال له : يا أمير المؤمنين ، اسمع مني أربع كلمات فيهن صلاح دينك وملوكك وأخرتك ودنياك . قال : ما هن ؟ قال : لا تَعِدَنَّ أحداً عِدَّةً وأنت لا تريد إنجازها ، ولا يغرنك مرتقى سهل إذا كان المنحدر وِعراً ، واعلم أنَّ للأعمال آخرأ فاحذرِ العواقب ، وأنَّ الدهر تارات فكن على حذر .

٣٢٤ - رجل عُلوي

كان فصيح اللسان ، بليغاً ، استأذن على هشام بن عبد الملك فأذن له ، وهو في موضع مشرف ، وأمر أن يُعْجَلَ به ليقطعه ذلك عن بلاغته ، فلما دخل على هشام سلَّم . فقال : إِيها تكلم . قال : حتى يذهب عني بُهْر^(٢) الدرجة ، وبهجة الخلافة .

(١) على هامش الأصل حرف (ط) .

(٢) البهر : تتابع النَّفْس من الإعياء . اللسان : بهر .

٣٢٥ - أُعْرَابِي

من بني أسد

دخل على هشام بن عبد الملك فسلم ثم قال : يا أمير المؤمنين ، أتت علينا سنون ثلاث ذهبت بالأموال ، ونحّت القلوب ، أما الأولى فأذابت الشحم ، وأما الثانية فتخصّت^(١) اللحم ، وأما الثالثة فهأصّت العظم^(٢) ، وفي يديك فضول أموال ، فإن تك لله فبئها في عباد الله ، وإن تك لهم ، ففيم تحبسها عنهم ؟ وإن تكن لك فتصدق علينا ، إن الله يجزي المتصدقين ، فأمر له بمشرة آلاف درهم . فقال : والله لأقبلها ، لبئس وافد القوم أنا إذا إن ذهبت إلى قومي غنياً وهم فقراء . فكتب هشام إلى خالد بن عبد الله القسري يحمل إلى البادية ما يكتفون به .

وقيل : إن الأعرابي قال وقد أمر له هشام بمال ، وقسم بين الناس مالا فقال : أكلُ المسلمين له مثل هذا ؟ قال : لا يقوم بذلك بيت المال . قال : فلا حاجة لي فيما أخذ من بيت مال المسلمين ، ولا يأخذه غيري . فضى وتركه .

٣٢٦ - رَجُلٌ

بلغ هشام بن عبد الملك عنه كلام فأتي به [١٢٤/آ] فتكلم بحجته فقال هشام : أو تتكلم أيضاً ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله عز وجل يقول : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تَجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ﴾^(٣) أفنجادل الله جдалاً ولا تكلم أنت كلاماً ؟ ! قال : تكلم بما أحببت .

٣٢٧ - شيخ راجز

من بني والبة من بني أسد .

قال محمد بن حرب الهلالي : خرجت أريد مكة ، فزلت بحمي من بني أسد ، ثم من بني

(١) أي أهزلت : اللسان : نخص .

(٢) أي كبرت : اللسان : هيض .

(٣) سورة النحل : ١١/١٦

والبة ، فإذا أنا بشيخ كبير السن ، حسن اللباس ، فسألته عن سنّه ، فقال : خلفت مئة وعشرين سنة . فسألته عن طُعْمِهِ . فقال : ما أزيد على الصُّبوح والغُبُوق شيئاً . فسألته عن الباه فقال : أيّهات ^(١) ، وفدت على هشام وهو في رَصَافته ، فسألني عن طُعْمِي ، فقلت : الصُّبُوح والغُبُوق ، وسألني عن الباه ، فقلت : إن لي ثلاث نسوة ، بت عند إحداهن ليلة ، وأصبحت غادياً إلى الأخرى وفي رأسي أثر الغسل ، فقلت : امطِ عني ، أفرغت ما في صلبك . فقلت : لأوفينك ما وفيتها . فلاعيتها وتوركتها ، فلما أردت الإنزال أخرجته وأمسكته ، فنزا الماء حتى حاذى رأسها ، فقلت : أ يكون هذا من أفرغ ما في صلبه ؟ ! ثم تناولت عشر حصيات ، فكلما صرت إلى الفراغناولتها حصاة ، حتى أتيت على العشر ، فسألته : كم في يدك ؟ فقلت تسع . فقلت : لا ، بل عشر . فقلت : لأحسب لك ما لم تصل إليّ . فضحك هشام حتى استلقى على فراشه . ثم إنني سألته : كيف أنت اليوم ؟ فقال : إني لأظل اليومين والثلاثة ، وما في الثاني [طائل] ^(٢) ثم ضرب بيده فخذه . وقال : [من الرجز]

قد كبرتُ بعد شبابِ سني	وأضعف الأزلُم ^(٣) مني ركني
والدهر يبلي جُده ويفني	وأعرضت أم عيــالي عني
إذ عَزَّ عندي ما تريـد مني	وقالت الحسناء يوماً ذرني
ولم ترد ذرني ^(٤) ولكن نكني	لكنهــا عن ذاك كانت تكني

٣٢٨ - رَجُل

من ولد خَبَّاب .

وفد على هشام بن عبد الملك .

[١٢٤/ب] خرج رجل من ولد سعيد بن العاص ، ورجل من ولد أبي مَعِيْط

(١) أي هيات . اللسان : أيه .

(٢) في الأصل بياض ، وفي تاريخ ابن عساكر س : ١٩ / ١٧٧ آ طانك ، وإخاها تصحيف طائل . وعلى

الهامش حرف (ط) .

(٣) أي الدهر . اللسان : زلم .

(٤) في الأصل : زدني ، وهو تصحيف .

يريدان هشام بن عبد الملك ، فلحقهم رجل من ولد خَبَّاب بن الأَرْت ، فقبل للسَّعِيدِي : أين تنزل ؟ قال : على آل أبي أحيحة . وقيل للمُعْطِي : أين تنزل ؟ قال : على آل أبي مُعِيط . وقيل للخَبَّايي : أين تنزل ؟ قال : لأدري ، ولكن أنزل على ربي . فقعد على باب هشام ، وجاءت هدايا من عند ابن الخَبَّاب^(١) ؛ عامل مصر ، فأدخلت على هشام ، فأخذ الخَبَّايي رِزْمَةً ودخل ، فلما صار بين يديَّ هشام ، انتسب له ، فما أمسى حتى كتب ثلاث صحائف إلى عامل المدينة ؛ صحيفة بجائزته ، وصحيفة بقطيعته ، وصحيفة بأرزاقه . وبقي السَّعِيدِي والمُعْطِي يَغْدوان ويروحان .

٣٢٩ - مولى لِمَسْلَمَةَ بن عبد الملك

قال : حدثني مسألة قال :

دخلت على عمر بن عبد العزيز بعد صلاة الفجر في بيت كان يخلو فيه بعد الفجر ، فجاءته جارية بطبق فيه تمر صَيحاني - وكان يعجبه التمر - فرفع بكفيه منه فقال : يامسلة ، أترى لو أن رجلاً أكل هذا ، ثم شرب عليه ماء ، والماء على التمر طيب ، أكان مجزئه إلى الليل ؟ قلت : لأدري . قال : فرفع أكثر منه ، فقال : فهذا ؟ فقلت : نعم ياأمير المؤمنين ، كان كافيه دون هذا حتى ما يبالي ألا يذوق طعاماً غيره . قال : فعلام يدخل النار ؟ ! قال مسألة : فما وقعت مني موعظة ما وقعت مني هذه .

٣٣٠ - شاعر

مِنْ قَرِيش .

كانت للوليد بن يزيد جارية ، يقال لها : صَدُوف ، ففاضبها ، ثم لم يطمع قلبه ، فجعل يتسبب بصلحها ، فدخل عليه رجل قَرَشِي مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، فكلمه في حاجة وقد عرف خبره ، فَبَرِمَ به ، فأنشده : [من الكامل]

(١) في الأصل : الحباب ، وهو تصحيف . وعبد الله بن الحباب كان على خراج مصر زمن هشام . انظر

ولاة مصر : ٩٥ - ٩٨ .

أَعْتَبْتُ أَنْ عَتَبْتُ عَلَيْكَ صَدُوفُ وَعِتَابٌ مِثْلِكَ مِثْلَهَا تَشْرِيفُ
لَا تَقْعُدَنَّ تَلُومَ نَفْسِكَ دَائِباً فِيهَا وَأَنْتَ بِحَبِّهَا مَشْغُوفُ
إِنْ الْقَطِيعَةَ لَا يَقُومُ بِمِثْلِهَا إِلَّا الْقَسْوَى وَمَنْ يَحِبُّ ضَمِيفُ
الْحُبُّ أَمْلَكَ بِالْفَقِّ مِنْ نَفْسِهِ وَالذُّلُّ فِيهِ مِثْلُكَ مَالُوفُ

[١٢٥ / آ] قال : فضحك ، وجعل ذلك سبباً لصلحها ، وقضى حوائج القُرَشِيِّ كُلِّهَا .

٣٣١ - شاعر

قال الفضل بن الوضاح ، صاحب قصر الوضاح :

خرجت مع المنصور إلى مروان بن محمد ، فصحبنا في الطريق رجل ضرير كان عنده
أدب ومعرفة فاستجلاه المنصور وقال له : مَنْ تقصد ؟ قال : أمير المؤمنين مروان . قال :
في أي شيء ؟ قال : في شعرا متدحتة به . قال : أنشدنيه . فأنشده : [من الخفيف]

ليت شعري أفاح رائحة المسد لك وما إن إخال بالخَيْفِ^(١) أنسي
حين غابت بنو أمية عنه والبهاليل^(٢) من بني عبد شمس
خطباء على النابر فرسا ن عليها وقالة غير خُرس
لا يهابون صامتين وإن قا لوا أصابوا ولم يقولوا بلبس
بجلوم إذا الخلوم استخِفَّتْ ووجوه مثل الدنانير ملس

قال المنصور : فما أتمها حتى ظننت أن العمى قد أخذني من حسدي بني أمية عليها .

ثم حَجَّ المنصور سنة ثلاث وأربعين ومئة وهو خليفة ، وكان قد نوى أن يمشي حتكا^(٣)
وروداً^(٤) ، فإنه لبشي إذ بصر بالضرير فأتي به فقال : ماضع بك مروان ؟ قال : أغناني فلا
أسأل بعده أحداً شيئاً . قال : ما أعطاك ؟ قال : أعطاني أربعة آلاف دينار ، وعشرة

(١) بطحاء مكة . انظر معجم البلدان : ٤١٢/٢

(٢) مفردها بهلول ، وهو العزيز الجامع لكل خير . اللسان : بهل .

(٣) الهتك : أن يقارب الخطو ويسرع رفع الرجل ووضعه . اللسان : حتك .

(٤) الرود في المشي : أي على مهل . اللسان : رود .

عِلْمَان ، وعشر جوار ، وحلني على عشر من الدواب ، وأوقر لي خمسة أبغل خُرثياً^(١) ثم تَنَفَّس الصُّعْدَاء ، وأنشأ يقول : [من الكامل]

أمت نساء بني أمية منهم وبناتهم بمضيعة أيتام
نامت خدودهم وأسقط نجمهم والنجم يسقط والحدود تمام
خلت المنابر والأسرة منهم فعليهم حتى المات سـلام

فقال له أبو جعفر المنصور: أما تعرفني ؟ قال : ما أنكرك من سوء ، مَنْ أنت ؟ قال : أنا أمير المؤمنين المنصور . فأخذ الضَّرِير أَفْكَل - يعني الرُّعْدَة - وقال : يا أمير المؤمنين ، إن القلوب جُبِلَتْ [١٢٥/ب] على حَبٍّ من أحسن إليها ، وبُغِضَ من أساء إليها . قال . صدقت ، خلوا عنه ، ثم تتبعته نفسه بَعْدُ فطَلَبَه ، فكان البيداء بادت به .

٣٣٢ - رجل

من ولد أبي سُفْيَان . به وضَح^(٢) ومرض .

ذكر لعبد الله بن علي بن العباس أنه قال : أنا السُّفْيَانِي الذي يَذْهَبُ ملك بني العَبَّاس على يده . فطلبه عبد الله فتواري ، فأمر عبد الله بإخراج نساء أبي سُفْيَان والتماسه فيهن ، فلما هَتَكَ الحرم ، وافي باب عبد الله بن علي على بغلي ومعه ابناه على فرسين . فقال للحاجب : عبد الله هذا جالس ؟ ولم يقل الأمير . قال : لا . قال : أفتأذن في الجلوس إليك ؟ قال : نعم . فنزل ونزل ولداه ، فجلسوا مع الحاجب . فرأى الحاجب أحسن خلق الله حديثاً ، وأحلام كلاماً ، فغلب على قلبه ، ثم عرف الحاجب جلوس عبد الله ، فدخل إليه ، فذكره له ، ثم خرج إليه . قال : يقول : ما اسمك ؟ قال : قل له رجل يأتيك بما تحب . فخرج فقال : فَتَّشْهُ وأَدْخِلْهُ . فدخل ، فقال له : ما لمن ذلك على فلان - وذكر اسمه - من الجائزة ؟ قال : حكمه . قال : فأنا فلان ، وهذان ابناي ، فما دعاك إلى أن برزت أسوق^(٣) بنات عمك يراهنَّ أنباط الشام في طلبي ؟ قال عبد الله : أندري ما قال شاعرنا ؟ قال : لا . قال : فإنه يقول : [من الخفيف]

(١) الخُرثي : متاع البيت وأثاثه . اللسان : خرث .

(٢) الوضع : البرص . اللسان : وضح .

(٣) جمع ساق . اللسان : سوق .

جَرَدِ السَّيْفَ وارْفَعْ السَّوْطَ حَتَّى لَا تَرَى فَوْقَ ظَهْرِهَا أُمُويًّا^(١)
 قال : شاعركم قال لكم ماتحبون ، أفندري ما قال شاعرنا ؟ قال : لا . قال : إنه
 يقول : [من البسيط]

شُمْسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمَ النَّاسِ أَحْلَاماً إِذَا قَدَرُوا^(٢)
 وأنا أعلم إن حكمتُ بما لا تهواه أنك لا تجيز حكمي ، فتركتك . قال : اقتلوه . قال :
 فإن كنت فاعلاً فابني قبلي ، فقتلا ثم قتل من بعدها ، رحمهم الله .

٣٣٣ - شيخ من كُتَّاب بني أمية

قال عبد الله بن سوار :
 كنت غلاماً أكتب بين يدي يحيى بن خالد ، فدخل عليه شيخ ضخم ، جميل الهيئة
 [١٢٦/آ] فأعظمه يحيى وحادثه ، وقال له : ما بالكم كنتم تكتبون الكتب إلى عاملكم في
 أموركم فلا تطيلون ، وإنما الكتاب بقدر الفضل من كتبنا ، ونحن نطيل إطالة لا يمكننا غير
 ذلك ؟ فقال : اعفني . فأبى إلا أن يجيبه . فقال : وأنت غير ساخط ؟ قال : نعم . قال :
 إن بني أمية كانت لا تكتب في الباطل أنه حق ، ولا في الحق أنه باطل ، ولا تعقب أمراً قد
 نفذ بخلافه أمر ، فلا يحتاجون إلى الإطالة والتلبيس وطلب المعاذير ، وإنكم تكتبون في الحق
 أنه باطل ، والباطل أنه حق . ثم تعقبون ذلك بخلافه ، فلا بد لكم من الإطالة .
 فسئل عن الشيخ فقال : كاتب من كُتَّاب بني أمية القدماء ، من أهل الشام .

٣٣٤ - رجل من دمشق

جلس كعُب الأخبار يوماً يقصُّ بدمشق ، فلما فرغ قال : إننا نريد أن ندعو ، فمن
 كان منكم يؤمن بالله وكان قاطعاً إلا قام عتاً ، فقام فتى من القوم ، فوَلَّى إلى عمه له كان بينه

(١) البيت لسديف بن ميسون ، وكان مولى بني العباس وشاعرهم . انظر ترجمته في الشعر والشعراء :

٧٣٨ - ٧٣٧/٢

(٢) البيت للأخطل ، وهو في ديوانه : ٢٠١/١

وبينها محرم فصالحها . فقالت : ما بدا لك ؟ قال : سمعت كعباً يقول كذا وكذا ، وقال كعب : إن الأعمال تعرض كل يوم خيس واثنين إلا عمل قاطع يتجلجل بين السماء والأرض .

٣٣٥ - رجل

من مُحارب . سمع من كعب يقول : يلتقون بعمق عكا فيقتتلون ، ثم يتهايبون وينحازون ، ثم يقتتلون ثم يتهايبون حتى ينتهوا إلى عُمُق أنطاكية فيقيمون به لا ينهزم هؤلاء ولا هؤلاء ، ويبعث المسلمون فيستمدون إلى عدن أبين^(١) ، ويبعث الروم إلى من يدم من رومية .

٣٣٦ - رجل

حكى عن ثقب الأحبار . قال الثَّقبي :

لما قدمت الشام نزلت بعبد العزيز بن مروان ، فبينما أنا في المسجد دخل شيخ قصير أحمر أصلع فاشراً^(٢) له فقالوا : هذا غلام العلماء . فجعل يجلس في الحلق ، ويتنقل فيها ، فقلت : اللهم جئ به . فجاء فجلس في الحلقة التي أنا فيها ، فقال : حدثنا ذو الكتابين أن السماء على منكب ملك . قلت : أكذبتك [١٢٦/ب] كتاب الله . فكادوا أن يشوروا إليّ - أو ثاروا إليّ - وقالوا : ماتريد إلى ضيف أمير المؤمنين ؟ قال : فترادوا ثم قال : حدثنا ذو الكتابين أن صوراً بالشرق وصوراً بالمغرب ، فينفخ في أحدهما فيموت الناس ، وينفخ في الآخر فيحيون . فقلت : أكذبك كتاب الله . فكادوا أن يشوروا - أو ثاروا - ثم ترادوا وقالوا : ماتريد إلى ضيف أمير المؤمنين ؟ فقلت لهم : ماتعجبون من أن أكذب من أكذبه الله ؟ ! زعم هذا أن السماء على منكب ملك ، والله تعالى يقول : ﴿ رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَصَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾^(٣) وزعم أن صوراً بالشرق وصوراً بالمغرب ينفخ في أحدهما فيموت الناس ، وينفخ

(١) عدن مدينة مشهورة على ساحل بحر العرب من ناحية اليمن ، وتضاف إلى أبين ، وهو خلاف عدن من

جلته . انظر معجم البلدان : عدن .

(٢) سورة الرعد : ٢/١٣

في الآخر فيحيون ، والله تعالى يقول : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى ﴾ ^(١) إنما هو واحد . فقال لي : ممن أنت ؟ فأخبرته . فقال : أما إن ذا الكتائب حدثنا أن نساءكم سيستبين فيؤتى بهن حق يوقفن على الدرج ، ويكشف عن سواقهن . فقلت : إني أرجو أن تكون الآخرة مثل الأوليين .

٣٣٧ - رجل

^(٢) قال ربيعة بن يزيد : قعدت إلى الشَّعْبي في خلافة عبد الملك ، فحدث ^(٣) رجل من الصحابة ^(٤) أو من التابعين حَدَّثَ عن رسول الله ﷺ قال : اعبدوا ربكم ولا تشركوا به شيئاً ، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وأطيعوا الأُمراء ، فإن كان خيراً فلكم ، وإن كان شراً فهو عليهم ، وأنتم منه براء . فقال الشَّعْبي : كذبت .

٣٣٨ - مولى

لبنى نِهران قال : رأيت مُقْعَدًا بتبوك فسألته عن إبعاده فقال : كان رسول الله ﷺ يصلي ، فمررت بين يديه فقال : قطع صلاتنا قطع الله أثره . قال : فأقعدت . قال : وكان على أتان أو على حمار .

٣٣٩ - شيخ

مِنَ السَّكَاكِ (٤)

حدث عن عمرو بن قيس قال : ولأبي عمر الصَّائفة وأوصاني بتقوى الله ، وبالمسلمين خيراً ، وقال : إن رابطت حصناً فلا تقم عليه إلا يوماً وليلة ، فإن طمعت فيه وإلا فارتحل ، فإن أرادوك على ما في يديك

(١) سورة الزمر : ٦٨/٣٩

(٢-٣) مستدرک على هامش الأصل .

(٣) من الصحابة ، مكررة في الأصل .

(٤) بطن من كندة . جهرة أنساب العرب : ٤٣١ ، ٤٣٣

من أسارهم رجلاً برجل [١٢٧/آ] فافدِه ، فإن أبوا فرجل برجلين ، فإن أبوا فرجل بثلاثة ، فإن أبوا فأعطهم جميع ما في يدك برجل من المسلمين .

٣٤٠ - رجل من دمشق

حدث عن إسماعيل بن عبيد الله عن عبد الله بن عمرو قال :
من قرأ القرآن فكأنما استدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه ، ومن قرأ القرآن فرأى أن أحداً من الخلق أعطي أفضل مما أعطي فقد حقر ما عظم الله ، وعظم ما حقر الله ، ليس ينبغي لحامل القرآن أن يجهل فين يجهل ، ولا يجد فين يجد ، ولكن يعفو ويصفح لحق القرآن .

٣٤١ - شيخ

من دمشق .

حدث عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :
(١) العلم فريضة على كل مسلم .

٣٤٢ - شيخ

من دمشق

قال : طلقت امرأة لي كان وجهها ذريعاً وجسدها رعباً ، فدخل علي سارق بالليل ، وثيابي عند رأسي ، فذهب إلى المشجب فلم يجد شيئاً ، فلما رأى ذلك بسط كساءه ، ثم دخل إلى خابية الدقيق ، فجذبت الكساء فجعلته تحت رأسي ، ثم خرج بالدقيق ، فصبه في الأرض ، وطلب طرفي الكساء ، ثم جعل يجمعه ، فلم يجد الكساء ، فخرج . فقلت له :

(١) على هامش الأصل : يعني طلب .

أغلق الباب ، لا يخرج القط . قال : من حسن صنيعك بي . قلت : ليس هذا وقت عتاب .
قال : فبعت الكساء بخمسة دراهم .

٣٤٣ - شيخ من دمشق

كان فيمن غزا مع مروان بن محمد إلى الحَزَر .

قال : فسحنا في بلادهم نسبي من أدركناه ، ولم نلق لهم جمعاً ، فشكوت إلى بيطار
العسكر سَعَالاً بفرسي ، فأمر لي بورق القَصْبَاء^(١) الأخضر ، فذهبت أنظر ، فإذا بغیضة من
قصب بيننا وبينها نحو أربعة أميال ، فخرجت إلى الغیضة ، فبينما أنا آخذ من الورق إذا أنا
بين رؤوس القصب ببريق الأسنة خلف القصب ، فقامت على سرجي لأتمكن من النظر
[١٢٧/آ] فإذا بحجرة سوداء من القنّا ، فعدوت على فرسي وأخبرت مروان ، فدعا بعض
هؤلاء^(٢) أرمنيّة فأخبرهم . فقالوا : هذا فلان الطرّخان^(٣) ، عامل هذه البلاد ،
وأساورة^(٤) عشرة آلاف ، نحن نرى أن ضعف رأيه ، ونظرة لنفسه دعاه إلى أن كن في هذه
الغیضة ، ليشدّ على ساقة العسكر . فأمر مروان قائداً من قوّاده ليخرج في أصحابه ، فنودي
في العسكر : من أراد الأجر والغنيّة فليلحق بفلان . فسار إليهم ، فوقف على باب مدخل
الغیضة ، وأتوا بالنيران والنّفط ، فألقي في الغیضة ، وهاجت الريح بالنّار ، ودخل المسلمون
بالسيف ، وأهلكهم الله جميعاً حريقاً وقتلاً وأسراً ، وأسرنا طرّخانهم أسيراً ، فضربت
عنقه ، ونفّذ برأسه ورؤوس من أصحابه إلى هشام .

(١) القصباء : جماعة القصب ، وأحدثها قصبة وقصباء . اللسان : قصب .

(٢) الميضة : الجماعة المتسلّحة أمرهم في الحرب واحد ، وكأنّ المعنى هنا « القواد » .

(٣) طرخان : اسم للرجل الشريف بلغة أهل خراسان . اللسان : طرخ .

(٤) أي فرسانه . اللسان : سور .

٣٤٤ - شيخ

مِنْ دِمَشْق .

حَدَّثَ عَنْ مُوسَى بْنِ وَرْدَانَ

وخرج إلى نفي إلى الإسكندرية فقال له أصحابه : هذا يوم الإسكندرية . قال : لا ، إنما يوم الإسكندرية إذا رأيت أهل مصر قد خافوا من مسير النوبة إليهم ، ورأيت أهل القسطنطين قد ضربوا عليهم الخندق ، وجعلوا خرساً فيما بينهم وبين أرض النوبة .

قال موسى بن وردان : وذلك أن صاحب الروم يكتب إلى صاحب النوبة - وهو على النضارية - يستنفره ، فيعده ذلك ويواعده وقتاً ، فيعجل الروم بالخروج إلى الإسكندرية ، ويبطئ النوبة عن الخروج ، فإذا كان ذلك سار المسلمون إلى الإسكندرية ، فيقاتلون بها ، فينصرهم الله ، ثم يرجعون ، ويخرج عليهم النوبة .

٣٤٥ - شيخ مِنَ الْبَلْقَاءِ

قال : لما التقوا بين مؤتة وعمقة تقدم زيد يسوي الصفوف فجاءه سهم غرب^(١) فقتله ، وأخذ الراية جعفر .

٣٤٦ - شيخ

كان في عسكر الجراح بن عبد الله الحكمي حين قاتل الترك .

قال : لما قُتِلَ [١٢٨/١] الجراح استمعينا ، وجردنا سيوفنا ، فأوجمنا في القوم ، فقال لهم الطاغية : إنكم لن تصلوا إلى قتلهم حتى يقتلوا أضعافكم ، فأفروا لهم ، ثم اتبعوهم في الشجر . قال : فلحقت بالجبل ، فإذا بقرية الخيل أهلها ، فلقيت بيتاً فدخلته ، فإذا فيه أثر نار وحطب ، فأوقدت وجلست وبني جهدي شديد ، فلم ألبث حتى سمعت صهيل الخيل ،

(١) أي لا يعرف راميهِ . اللسان : غرب .

وإذا بخیل التُّرك ، فدخلت وأطفأت النار ، وأقبل رجل ففتبع النار حتى وجدها ، وظن أن في البيت أقواماً ، فجعل يأخذ في زاوية ، وأخذ في أخرى ، ثم سلَّ سيفه فقلت : لئن خرجت لأقطعنَّ . فاستأسرت له ، فأخذ بناصيتي ، وأجلسني عند النار ، وأشار إليَّ أن أوقد ، فأوقدت ، ونظرني فعرفت الرقة قال : وبي جَهْد . فأتاني بكِسْرٍ فأكلت ، ثم ضربوا طبوهم ، فأسرج وركب وأردفني خلفه ، وتركهم حتى ساروا ، وسار بي قدر أربعة أميال ، ثم وقف وأشار إلي ، فنزلت ، وأشار إليَّ : اذهب كيف شئت .

قال : فبينما نحن عند الحرسى وهو يقتل الأسارى إذ نظرت إليه فمرفته ، فقلت له : أتعرفني ؟ قال : نعم . فتقدّمت إلى الحرسى فقصصت عليه أمري ، فدعاه وكلمه التُّرجان ، فأخبره بمثل خبري . فقال : قد حقناً لك دمه ، وبعثني وبعث به إلى هشام ، فأخبره الخبر ، ففرض له في قبيلي ، فكان في عِدادي .

٣٤٧ - شيخ من موالي بني قَزَّارة

ثم لعمر بن هُبَيْرَة .

حدث عن عمر بن هُبَيْرَة . قال :

كنا قد بلغنا من حصارهم ما بلغنا ، وكان بنا من الأزل^(١) والمرض غمواً مما بهم وأشد ، وكنت نازلاً ببجاعة سفن على ساحلهم مما يلي عسكر المسلمين ، في مركبي ، فيه مبيتي الآن ، أركب إلى مَسْلَمَة فأشهد أموره ، فإذا لم أركب خرجت في برد النهار إلى مجلس على تل مشرف على مراكمي وعلى عسكر المسلمين ويخرج إليَّ أمراء أجنادي ، وأهل الهيئة منهم ، فكان ذلك التل تلك الساعات لنا مجلساً ، فبينما أنا ذات غَدَاة عليه [١٢٨ ب] في جماعة ، إذا بقارب خرج من ميناء القُسْطَنْطِينِيَّة ، وفيه رجال من الرُّوم عليهم الدِّيَّاج يقصد إلينا فقلت : رسول الطاغية إليَّ في أمر يكلمني به ، فإن أتى في مجلسنا أشرف على رثاثة سفننا وسوء حالنا ، سره ذلك وازداد قوة علينا ، فقممت إلى مركبي فجلست وجلس معي أمراء أجنادي وأهل الهيئة ، وأمرت أهل السفن أن يواروا ماقدروا عليه من سوء حالهم . فلما دنوا

(١) الضيق والشدة . اللسان : أزل .

نادونا بالأمان ، وأقبل رسول الطّاغية في أصحابه وهيئته ، وصعد إليّ فسلم ، وأذنت له فجلس وجلسوا ثم قال : إنا بعثنا لأمرٍ فنذكره لكم ، ورأيت منكم شيئاً عرفت به سوء حالكم ، وإنك أردت بقيامك عن التل ومجلسك الذي كنت فيه ألا آتيك فيه ، فأشرف على رثاءة سفنكم وسوء حالكم ، ثم تهيأت لي بما أرى مما ليس خلفه قوة ، وقد صرتم من حالكم إلى أسوأ مما نحن فيه ، إن الملك يقرأ عليك السّلام ويقول : إنه كان من نزولكم علينا ، وإقامتكم إلى هذا اليوم ما قد علمتم ، وبلغ منا ومنكم ، وما أنتم فيه أشد ، وقد عرضت على مسلمة فذّية صلح على كل إنسان بالقسطنطينية من رجل وامرأة وصبي ديناراً ديناراً على أن ترحلوا إلى بلادكم ، فإن شئتم اقتسمتم هذه الدنانير بينكم مَغْنِياً ، وإن شئتم ذهبتم بها إلى خليفتم ، فأدخله بيت ماله فصنع ما أراد . فأبى ذلك مسلمة علينا وسخطه ، وزعم ألا يبرح دون أن نؤدي الجزية عن صَغَار ، أو يدخله عُنُوة ، والصَّغَار - الجزية - مالاتطيب به أنفسنا أبداً ، وأنت من خليفتم ومن مسلمة ، ومن عليّة العرب بالمنزلة التي أنت بها في الشرف والأمانة ، فانظر فيما عرضته على مسلمة ، فإن رأيته رأياً أشرت به عليه ورددته إليه . قال عمر بن هُبيرة : أصاب مسلمة ، وذلك ما أمرنا الله به ولا أخالفه فيه ، وأنا عون له عليه حتى يحكم الله بيننا وبينكم . فصلّب على وجهه ، وانصرف مُغَضّباً .

٣٤٨ - شيخ من دمشق

[١٢٩/آ] حَدَّثَ عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

هذا الأمر في قریش يليه برهم ببرهم ، وفاجرهم بفاجرهم حتى يدفعوه إلى عيسى بن

مريم .

٣٤٩ - شيخ

من أهل دمشق .

سمع عطاء الخراساني يروي عن رسول الله ﷺ قال :

يأتونكم في ثمانين غاية^(١) ، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً ، الروم فيهم كالحيلة غير أنهم الرؤوس والقادة .

٣٥٠ - شيخ

من قُدماء الجُند من كان يلزم الجهاد .

حدّث أن أهل الشّام كانوا إذا غزوا الصّوائف ينزلون أجناداً كما كان أصحاب النبي ﷺ إذا ساروا إلى الشام ينزلون أرباعاً ، وكما كان بنو إسرائيل تنزل مع موسى عليه الصلاة والسلام وبعده أسباطاً . قال : وبين كل جند فرجة وطريق ومجال للخيل .

٣٥١ - شيخ

من الجُند ، أخبر عن أميرهم في غزاتهم أرض الروم أنه كان إذا وقف على الدرب قافلاً قال : الحمد لله الذي لم يجعلنا فتنة للقوم الظالمين ، ونجانا برحمة من القوم الكافرين .

٣٥٢ - شيخ

من أهل دومة الجندل

حدّث أن رسول الله ﷺ كتب لأبي بكر هذا الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد رسول الله ﷺ لا يُكَيِّدُ حين أجاب إلى

(١) الغاية : الراية . اللسان : غيا .

الإسلام ، وخلع الأنداد والأصنام مع خالد بن الوليد سيف الله في دومة الجندل وأكنافها : إن لنا الضاحية من الضُحْل والبُور والمعامي ، وأغفال الأرض ، والحلقة والسلاح ، والحافر ، والحصن ، ولكم الضامنة من النخل ، والمعين من المعمور بعد الحس ، لا تُعْذَل سارحتكم ، ولا تعدّ فاردتكم ، ولا يحظر عليكم النبات ، ولا يؤخذ منكم إلاّ عُشر البتات^(١) ، تقيمون الصلاة لوقتها ، وتؤتون الزكاة بحقها ، عليكم بذلك العهد والميثاق ، ولكم بذلك الصدق والوفاء ، شهد الله ومَنْ حضر من المسلمين .

الضُحْل : الذي فيه الماء القليل . والبور : ما ليس فيه زرع . والمعامي : ما ليست له حدود معلومة ، والأغفال : مثله . ولا تعدّ فاردتكم^(٢) : يعني ما لم تبلغ الأربعين . والحافر : الخيل . والمعين : الماء الظاهر ، وقيل : الجاري . والضامنة من النخل : التي قد نبتت عروقها في الأرض^(٣) ، ولا يحظر عليكم النبات : لا تُمنعون أن تزرعوه . ولا تعدل سارحتكم : لا تتعصّب عن الرعي . والنبات : النخل القديم الذي قد ضرب عروقه في الأرض ونبت .

وكانت دومة وأيلة وتيأ خافوا [النبي ﷺ] لما أسلمت العرب^(٤) .

٣٥٣ - شيخ

[١٢٩/ب]

من دمشق ، كان ذيذباناً يجلس على المنارة ، فنظر ذات ليلة رؤيا حالته ، كأنه نصب على ظهر قبة المسجد رمح فيه كتاب يتيّن ، ونصب فوق الرمح رمح فيه كتاب بين ، ونصب فوق الرمح رمح وفيه كتاب بين ، فإذا في الأول : إن المجرمين في سقر . وفي الثاني : طوبى لمن أثبت في فصر . وفي الثالث : الملك لله من شاء نصر . فتأب ذلك الرجل توبة ، لم [يكن] يُعرف بدمشق مثله .

(١) هكذا في الأصل ، وفي المغازي : ١٠٣٠/٣ : ولا يؤخذ منكم عشر البتات ، وهو الأشبه . والبتات : المتاع ليس عليه زكاة ما لا يكون للتجارة . اللسان : بنت .

(٢-٣) مستدرک علی هامش الأصل . وما بين حاصرتين من المغازي : ١٠٣١/٣

(٣) كذا في الأصل ، وفي اللسان : ضمن (الضامنة من النخل : ماتضنها أمصارهم وكان داخلاً في العارة ، وأطاف به سور المدينة) .

(٤) ما بين حاصرتين ليس في الأصل ، ولثبت من تاريخ ابن عساکر س : ١٨٢/١٩ ب .

٣٥٤ - شيخ

من أهل دمشق .

قال : كان يقال : إن دعتك نفسك يوماً إلى صحبة الرجال فلا تصحب إلا لمن إن صحبته زانك ، وإن حملته مؤونة مانك ، وإن رأى منك ثمة سدّها ، وإن رأى منك حسنة عدّها ، وإن سألته أعطاك ، وإن تعففت عنه ابتدأك ، وإن عاتبك لم يحرمك ، وإن تباعدت عنه لم يرفضك .

٣٥٥ - شيخ

من دمشق .

حدث عن رجل من بني أمية قال :

استعمل عمر بن عبد العزيز رجلاً على الصدقة يقال له زريق ، أحمركريه المنظر فرجع إلى عمر ، ولم يأت به شيء ، فقال عمر : أين ما بعثناك فيه ؟ قال : أخذته من حيث أمرتني ، وجعلته حيث أمرتني . فقال عمر : ﴿ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ﴾ ^(١) .

٣٥٦ - شيخ

من أهل دمشق .

حدث عن الهذيل بن عمرو يسنده إلى علي بن أبي طالب قال :

مَنْ ابْتُلِيَ بِزِمَانَةٍ فِي جَسَدِهِ تَمْنَعُهُ مِنَ الْعَمَلِ ، كَانَتْ كَفَّارَةً لِدُنُوبِهِ ، وَعَمَلُهُ فَضْلاً .

(١) سورة هود : ٢١/١١

٣٥٧ - شيخ

حَدَّثَ عن الأوزاعي أنه أقبل حتى نزل بأخيه له ، فحضر العشاء ووضع المائدة ، ويد الأوزاعي تتناول ، فقال الرجل : تعذرنا يا أبا عمرو ، جئتنا في وقت ضيقٍ . فردَّ يده في كُمه ، وأبى . فقال الرجل : والله ما اتخذت بعدك مالا إلا المورث الذي تعرف ، ما ذنبي ؟ قال : لم أكن لأصيب طعاماً قلَّ شكر الله عليه ، أو كُفرت نعمة الله عليه .

٣٥٨ - رجل

من أهل العلم .

قال : جاء كتاب من الخليفة [١٣٠/آ] إلى محمد بن إبراهيم ، وهو على الموسم ^(١) : ابعث إليَّ سفيان الثوري فقال له : يا أبا عبد الله ، هذا كتاب أمير المؤمنين . قال : قه ؟ قال : كتب إلينا أن نبعث بك إليه . قال : السمع والطاعة . فقال للرسول : هذا سفيان بن سعيد وها هو يحيي معك ، وأنت أعلم . فخرج سفيان إلى الرسول وعليه إزاران متززر بأحدهما ، والآخر على كتفه . فلما بلغ الباب ، قال للرسول : أعلم الأمير . فرجع معه . قال : رحمك الله ، من هاهنا إلى العراق بغير نفقة ؟ قال : يا أبا عبد الله ، وتريد نفقة ؟ قال : نعم . قال : يا غلام ، هات كيساً . فجاء بكيس فيه ألف دينار قال : يا أبا عبد الله ، إن أردت زدناك . قال : لا ، في هذا بلاغ . فأخذ الكيس وخرج ، فلما كان في بعض الطريق ، والرسول يذهب به إلى دار البريد مرّوا بخربة ، فلفَّ سفيان الكيس في إزاره ، ووضعه على باب الخربة ، وقال للرسول : أبصر هذا حتى أبول ، ودخل فأقام الرسول ماشاء الله ، فلما لم يره حمل الإزار ودخل فلم ير شيئاً ، فحمل الإزار ومضى إلى محمد بن إبراهيم ، فلما رآه ضحك . قال : ويك مالك ؟ قال : خدعني . وقصَّ عليه القصة فقال له : ويلك ، ولم تركته ؟ قال : لم أظن أنه يذهب عريان ، ويدع الكيس . قال : ثكلتك أمك ، إني أحسب لو كان جميع ما يملك تركه .

(١) في الأصل : الميسم ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٨٣/١٩ . وانظر ترجمة محمد بن إبراهيم في

من أهل دمشق .

قال المهدي لطازاد الرومي : أخبرني ببعض ما رأيت .

قال : كنت يوماً أسير على شاطئ نهر لا ينقطع إلّا من موضع فيه صعوبة ، فإذا أنا برجل يصلي ، فخفف من صلاته . فقلت له : كأنك أضللت أصحابك ، فإن أحببت أرشدتك للطريق . فقال كالمنتهر : امض لشأنك . فقلت له : كأني أراك مُعجباً بنفسك ، فهل لك في البراز ؟ قال : نعم . ووثب على فرس له أنثى ، ثم أوثبها النهر فإذا هو معي ، ثم تجاولنا فلم أقدر عليه لثقافته^(١) ، ثم قلت له : هل لك في المصارعة ؟ فقال : ذاك إليك . فألقينا السلاح ، فلما تجرّد ازدريته لنحافته وقلت : أنا محتمله بأهون أمراً وقتله ، أو ذاهب به أسيراً ، وأخذ فرسه وسلاحه ، ثم اتحدنا ، فلم أصل منه إلى شيء ، واعتقلني فإذا أنا تحته ، ثم تناول سكيناً من خُفّه ليذبحني بها . فقلت له : هل لك [١٣٠/ب] إلى خير مما تريد بي ، أن تعتقني فأكون مولاك ، ولا أدع حفظك في كل مُسلم أقدر عليه . فقال لي : ومن أنت ؟ قلت : طازاد . فنهض عني وضربني برجله استخفافاً ، ثم مال إلى النهر فغسل وجهه ، ولبس سلاحه ، وركب فرسه ، وجاز النهر إلى الموضع الذي كان فيه . فقلت له : إني صرت مولاك فتبسم لي وأخبرني بموضعك ومنزلك . فأخبرني ، وكتبته بطرف سكاني على صُفّة^(٢) سرجي - وكان طازاد رجلاً أَيْدُاً يأخذ الكبشين فيعلقهما بيده حتى ينتطحها - ثم قلت له : إن من أصحابي عدة أمامك فأبقهم . فقال : امض لشأنك . ثم عرض له ناس من أصحابي فحمل عليهم ، فقتل منهم أربعة ، ثم أدركتهم فنعت من بقي منهم من قتاله ، وأمرت رجلاً من أصحابي أن يدخل عسكر المسلمين فيحرص على أن يسرق فرسه ، ويأتيني بها . فدخل عسكرهم مستأنماً ، فأقام أياماً لا يقدر على سرقتها ، وذلك أنه كان يركبها نهراً ويسرجها ليلاً ، ويضع لجامها على قَرَبُوسه ، ومخلاتها في رأسها ويصف قدميه حتى يصبح . فقال المهدي : بئس ما كافته ياطازاد ! فكتب المهدي إلى عامل دمشق في إقدام الرجل

(١) أي لحذاقته . انظر اللسان : ثقف .

(٢) صفة السرج : التي تضم العرقوتين والبدادين من أعلامها وأسفلها . اللسان : صف .

عليه ، فقدم ، ولا علم لطازاد بأمره ، فأمر المهدي بعرض الجُند والرجل فيهم . فقال طازاد : ياأمير المؤمنين ، مأنشبه هذا بالرجل الذي وصفت لك ، فدعاه المهدي ، فسأله طازاد أن يدنو منه . فأذن له ، فقبّل رجليه ، وأذكره بلاءه عنده ، فأراد المهدي صلته فلم يقبلها ، وصرفه إلى بلاده .

٣٦٠ - رجالان

سائحان في جبل لبنان .

خرج رجل يبتغي من فضل الله ، فصحبَ رجلاً في الطريق فسأله عن مخرجه ، فقال له خبره ، فقال له الرجل : أخرجني الذي أخرجك . فانطلقوا بنا نلتس الله مِنْ فضله . فخرجا في جبل لبنان يقصدان بيت المقدس ، فأتيا بعض المنازل ، فنزلا في قَصْر خَرِب ، فانطلق أحدهما ليأتي بطعام . قال [١٣١/أ] المتخلف منها في الرّحل : ألهيت نفسي ، وجعلت أنظر بناء ذلك القصر وهيئته ، وخرابه ، واذكر سفري وتركي عيالي ، فإذا بلوح من رخام تجاهي فيه مكتوب : [من الكامل]

لما رأيتك جالسا مستقبلي	أيقنت أنّك للهموم قرين
فارقص بها وتعزّ من أثوابها	إن كان عندك بالقضاء يقين
فالهمّ سياه مشيب شامل	ويكون مثوى الضّر حيث يكون
هوّن عليك وكنّ بربك واثقا	فأخو التوكل شأنه التهوين
طرّح الأذى عن نفسه في رزقه	لما تيقن أنّه مضمون

فجعلت أقرؤهن وأتدبرهن إذ جاء صاحبي فقلت : ألا أعجيك ؟ قال : بلى . قلت : انظر ماعلى هذا اللوح . فنظر ونظرت ، فلم ير لوحاً ولا شيئاً . فجعلت أطوف في القصر وأتتبع ما فيه فلم أر شيئاً .

٣٦١ - رجل عابد

بأذِرْعَات^(١)

خَرَجَ أبو معاوية الأسود إلى عابد بأذِرْعَات . قال : فأقمت عليه ثلاثة أيام لا يكلمني ، فقلت : اللهم وفقه لكلامي . فأقبل عليّ وقال : يا أسود ، من أين قدمت ؟ من الحج أو من العُمرة ؟ أو نفدت نفقتك ؟ قلت : ماجئت من حج ولا عُمرة ، ولانفدت نفقتي . قال : فما جاء بك ؟ قلت : جئت لعلّي أسمع منك كلمة أنتفع بها . فقال لي : يا أسود ، أنتَ بطربليط^(٢) النُضْراني أوثق منك بالله عزّ وجل . قلت : معاذ الله . فقال : الساعة تقر ، أخبرني لو أن مطربليط النُضْراني قال لك : اجعل غداك وعشاءك عندي ، أكنت واثقاً به ؟ قلت : نعم . قال : فالله قد ضمن لك الغداء والعشاء ، فهل ألقيتَ همّ ذلك عنك ؟ قلت : حسبي .

٣٦٢ - شيخ متعبّد

قال ذو النُّون : رأيت شيخاً مجنوناً بدمشق مصفراً ، بيده زُكوة وعُكَّازة ، وقد كتب على جيبه من ورائه : [من السريع]

حقّ منّي يا شيخ لا تستحي	يراك مولاك مع الغافلين
ما تستحي منه وماترعوي	غطى خطاياك عن المالمين
مشاك بين الناس في ستره	وأنت معكوف مع الفاسقين

[١٣١/ب] وعلى كُفّه الأيمن مكتوب : [من الوافر]

عجبت لمن ينام وذو المعالي	ينادي يا عباد أنا البذول
وهل يجد الخلائق مثل ربي	وكل فعّاله حسن جميل

وعلى كُفّه الأيسر مكتوب : [مجزوء الرمل]

(١) بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء . معجم البلدان : ١٣٠/١

(٢) في الأصل دون إجماع ، وقرأته كما كتب في تاريخ ابن عساكر س : ١٨٤/١٩ أ .

إن الله عبداً كشفوا فيه القناعا
 هل رأيتم خادماً عا مل مولاه فضاءا
 سوف أرويك حديثاً قد سمعناه سماعا
 من دننا من ربه شب رآ دننا منه ذراعاً

٣٦٣ - رجل من شُرْعَب

من أهل جُوسِيَّة من أعمال حِمص ، كان يواظب على حضور الجمعة بدمشق - وشُرْعَب
 قبيلة من قبائل الين - كان له بغل ، وكان يدليج على بغله من جُوسِيَّة - وهي قريته من
 حمص - يوم الجمعة ، فيصلي الجمعة في مسجد دمشق ، ثم يروح فيبيت في أهله ، وكان الناس
 يعجبون منه ، ثم إن بغله ذاك نفق ، فنظروا جنبه فإذا ليس له أضلاع إنما هو صفحتان
 عظمتا مصمتا .

٣٦٤ - رجل كان يصحب ابن جَوْصاء^(١)

حَدَّث عن نفسه ، أو عن شيخ حدثه أنه كان يرباط بالساحل في صخرة موسى^(٢) ،
 فبينما هو على السور ينظر إلى البحر ، فرأى غراباً قد انحط على سمكة مطروحة على الشط ،
 فأدخل في عين السمكة مخلابه ثم اكتحل به . فتعجبت من ذلك ، وانحدرت إلى السمكة ،
 وأخذت ميلاً فاكتحلت من عينها ، فرأيت أشياء لم أكن أراها قبل ذلك ، ورأيت عجائب ،
 فبينما أنا يوماً في جنازة ، وإذا رجل يضحك في وجوه الناس ويتلهى ، فاغظت منه ،
 ولحقته عند انصراف الجنازة ، فقلت : يا عبد الله ، قف . فالتفت إلي فقال : مالك ؟
 فقلت : ماتستحي من الله ؟ الناس في الجنازة وأنت تضحك وتتلهى في وجوه الناس ؟
 فقال : أنت تراني ؟ فقلت : نعم ، وقد رأيتك تضحك في وجوه الناس . فقال : يا هذا ، أنا
 الأمل ، بعثني الله في هذه الصورة ، أضحك في وجوه الناس ، وما هو ضحك ، وإنما أسليهم

(١) ابن جوصاء من كبار المحدثين في دمشق ، توفي سنة (٣٢٠ هـ) . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء :

١٥/١٥ - ٢١ بتحقيقنا .

(٢) قرب مدينة شروان من نواحي أرمينية على ساحل بحر الخزر . معجم البلدان (شروان)

وأبسط أملهم ليرجعوا إلى ما كانوا عليه حتى لا تخرب الدنيا ، ولولا ذلك ما عرت الدنيا . ثم غاب عني .

٣٦٥ - رجل صالح

[١٣٢/آ] مِنْ أَهْلِ دِمَشْق .

قال معروف : رأيت رجلاً في البادية شاباً ، حسن الوجه ، له ذؤابتان حسنتان ، وعلى رأسه رداء قصب^(١) ، وعليه قميص كَتَّان ، وفي رجله نعل طاق . فتعجبت منه في مثل ذلك المكان ، ومن زيه . فقلت : السَّلام عليكم ورحمة الله . فردَّ عليَّ . فقلت : الفَق من أين ؟ قال : من دمشق . قلت : متى خرجت منها . قال : ضحوة النهار - وبينه وبين المكان مراحل كثيرة - فقلت : وأين المقصد ؟ قال : مكة إن شاء الله . فعلمت أنه محمول ، وقلت في نفسي : لو علم أنه يساق إلى الموت سوقاً لرفق بنفسه . فودَّعته ، ومضى .

فبعد ثلاث سنين أنا جالس في منزلي أتفكر في أمره ، إذ دق الباب ، فإذا بصاحبي ، فسلمت عليه ، وأدخلته المنزل ، فرأيتَه منقطعاً ذاهباً ، حافياً حاسراً ، فقلت : أيش الخبر ؟ فقال : يا أستاذ ، لم تخبرني بما يفعل بمعاملية . قلت : فأخبرني ببعض خبرك . قال : نعم ، لاطفني حتى أدخلي الشبكة ، ثم ضربني ورماني ، فرة يلاطفني ، ومرة يُهينني ، ومرة يجيعني ، ويطعمني^(٢) أخرى ، فليتَه أوقفني على بعض أسرار أوليائه ، ثم يفعل بي ما شاء . وبكى بكاء شديداً . قال معروف : فأبكاني . فحدثني ببعض ما جرى عليك منذ فارقتني . فقال : هيهات أن أبديه ، وهو يريد أن أخفيه ، ولكن بدياً^(٣) ما فعل بي في طريقتي إليك . فقلت : ما فعل بك ؟ قال جَوَّعني ثلاثين يوماً ، ثم جئت إلى قرية فيها مقشاة قد بُذ عنها المدود والفساد وطرح ، فقعدت أكل منه ، فبصر بي صاحب المقشاة ، فأقبل إليّ بسوط يضرب ظهري وبطني ، ويقول : يا لص ، ما خرب مقشاتي غيرك ، منذ كم أنا أرصدك حتى وقعت عليك . فبينما هو يضربني ، أقبل فارس نحوه مسرعاً ، وأفلت

(١) القصب : ثياب ، تتخذ من كتان ، رفاق ناعمة . اللسان : قصب .

(٢) مستدركة على هامش الأصل .

(٣) البدي : الأول . اللسان : بدا .

الوسط في رأسه وقال : تعمد إلى وليٍّ من أولياء الله تضربه وتهينه وتقول له : يال ص . فأخذ صاحب المقثاة بيدي إلى بيته ، وما أبقي من الكرامة شيئاً إلا عمله ، واستحلني . فبينما أنا عنده لص إذ صرت ولياً . وجعل صاحب المقثاة مقتاته لله ولأصحاب معروف . فقلت له : صف لي معروفاً . فوصف لي الصفة فمررتك بما كنت شاهدته من صفتك . فما استتم كلامه إلا وصاحب المقثاة قد جاء ، وكان موسراً ، فأخرج جميع ماله ودينياه وأنفقه على الفقراء ، وصحب الشاب سنة وحباً ، فأتانا بالربذة^(١) .

[١٣٢ ب] ٣٦٦ - شيخ من أهل دمشق

قال : قال إبراهيم بن أدهم :
أعربنا في الكلام فما نلحن ، ولحنا في الأعمال فما نعرب .

٣٦٧ - شيخ

كان بكنّاكر^(٢) من دمشق قال : قال موسى : سافروا وأملوا في أسفاركم البركة ، فإنني سافرت ، وما أوّمل كل ما أتاني .

٣٦٨ - شابٌ صالح

كان ضيفاً للقاسم الجوعي .

قال قاسم : وقف عليّ غلام فسلم فرددت فقال : يا معلم الخير ، كنت مع فلان بأنطاكية ، فلما حضرته الوفاة قلت : أرشدني إلى مَنْ أكون معه . فقال : عليك بقاسم الجوعي فقلت : أوسعوا له . فلم يزل حتى صلينا العشاء الآخرة ، فجاء معي البيت . فقلت للمرأة : قومي إلى البيت الذي بجانب الدار ، فاطرحي فيه حصيراً ، واجعلي فيه سراجاً ، وكوز ماء وطعاماً فقد جاءنا ضيف . ففعلت ذلك . فأقام عندي شهرين أقل أو أكثر

(١) من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق . معجم البلدان ٢٤/٣

(٢) في الأصل : كان يكون ، وهو وهم .

فنسيت المرأة ليلة أن تؤدي إليه سراجاً وطعاماً حتى مضى من الليل ماضى ، فأويت إلى فراشي ، وأطفأت المرأة السراج ، وجاءت لتأوي إلى فراشها ، فذكرت ^(١) [أنها لم تؤدي إلى الغلام طعاماً ولا سراجاً] ^(٢) فوثبت مسرعة فكدحت وأسرجت وأخذت طعاماً وسراجاً ، ومضت إلى الغلام فوجدته مستقبلاً القبلة قائماً ، وقنديلاً يسرج ، فسحّت عينيهما ، وأحدثت النظر ، فإذا الغلام قائم ، والقنديل يسرج ، فرجعت إلى قاسم فأنبهته وأخبرته وقالت : قم حتى أريك . قال : فلبست ثوبي ومضيت معها . فقالت : إن هذا الفتى أنسيت أن أؤدي إليه طعاماً وسراجاً إلى هذا الوقت ، وجئت فرأيت على هذه الحالة . فقلت لها : سألتك بحق كذا وكذا الذي كنت تخصيني به خصي به هذا الغلام ، متى كنت أوّمل أن أرى مثل هذا ؟! وهذا ولي من أولياء الله . فلما أصبحنا خرجت أنا والغلام إلى المسجد ، فلم نزل حتى صلينا العشاء الآخرة ، ثم نهض ونهضت ، وأحببت الاعتذار إليه وأعذر المرأة ، وشرحت له الحال ، فقال : يا قاسم ، عليك السلام . فقلت له : إلى أين تريد الساعة ، ولا أحد يذهب ولا يجيء . وتضرعت إليه لبيت تلك الليلة [١٣٣/آ] فأجابني إلى ذلك . فقممت إلى مزود ^(٣) عندي فجعلت فيه فتيتاً وركوة وعشرة دراهم . وأصبحنا ، فغدوت وغدا الغلام معي إلى المسجد ، فلما صلينا الغداة نهض الغلام ونهضت معه ، فضينا حتى صرنا إلى الموطأة ، فقلت : إلى أين تومي ؟ فقال : إلى بيت المقدس ، وقال : ارجع من هاهنا فقلت : خذ هذا الفتيت تشربه في الطريق ، وهذه الركوة تتوضأ فيها للصلاة ، وهذه العشرة دراهم ما كان عندي غيرها ، ولكن يرزق الله . فقال : يا قاسم ، مالي فيها حاجة . فأقبلت أطلب إليه وأتلقه ، فبعد حين أخذ الركوة ، فقال : هذه أتوضأ فيها للصلاة وأذكرك بها . فقلت : فخذ هذا الفتيت وهذه الدراهم . فأدخل يده في كمّه ، فأخرج كمّه مملوءة دنانير . ثم قال لي : يا قاسم ، من كان هذا معه أيش يعمل بدراهمك ؟ فأقبلت أنظر إلى الدنانير في كمّه ، ثم رمى بها إلى الأرض ، فنطرت إلى الموضع الذي رماه والتفت فلم أر الغلام .

(١) مابن حاصرتين من تاريخ ابن عساكر س : ١٨٥/١٩ آ

(٢) وعاء يجعل فيه الزاد . اللسان : زود .

للقاسم الجوعى .

حدث أبو عبيد أن أول حجة حجّها قدم إلى دمشق ، فلقى قاسم بن عثمان الجوعى ، فأعلمه أنه نوى الحج فقال : إذا أردت الخروج فائتني حتى أوصي بك بعض إخواني من العراق لتصحبه في طريقك ، فلما قرّب وقت الحج جاء إلى قاسم ومعه جريب فيه رطل سويق وخسة دنانير ، فقال له قاسم : ما هذا ؟ قال : شيء زودته . فقدم رجل من العراق ، فسلم عليه قاسم ووصّاه بأبي عبيد وخرجوا . قال أبو عبيد : فلما صرنا في بعض الطريق قال لي : ما هذا معك ؟ فأخبرته . فقال : ضعه هاهنا ، فوضعتة ومضيت معه ، فكنا إذا احتجنا إلى الطعام وجدناه ، حتى قدمنا مكة ، فلما قضينا الحج ، قال لي في يوم الزّيارة : إني غداً عند العصر أموت ، فكفّني في عباتي هذه ، وادفني . فقلت : صحبتك من الشّام إلى هاهنا فلم أسألك عن اسمك ، فعزّفتني . فقال : لا تحتاج إلى هذا ، ولكن إذا صرت إلى بيت المقدس فادخل الصخرة ترشحاً جالساً عن يمينك فهو يسلم عليك ويعرفك من أنا . قال : فلما صرت إلى بيت المقدس وجدت الشيخ ، فسلم علي وعزّاني برفيقي ، وقال : إنه كان أحد السبعة ، وإنه لما قبضه [١٣٣/ب] الله جعلك بدله وقال : أنا أبو العباس الخضر . قال : فكان ذلك أول شيخ رأيته .

٣٧٠ - رجل متصوّف

قال : رأيت على صخرة منقوراً ببيروت : [من السريع]

خذ [ها]^(١) فقد أسمعك الصوت بادر وإلاّ فهو الفوت
وانهج بما شئت وعش آمناً آخر هذا كله الموت

٣٧١ - رجل

له فضل ، مستجاب الدّعاء .

قال أبو الحارث الأؤلاسي : ذكر لي عن رجل بدمشق فضل ، ومعه إجابة ، فصرت إليه

(١) ما بين حاصرتين من عندنا ليستقيم الوزن .

فقال لي : قم بنا نصير إلى الساحل ، فضينا ، فنحن في الطريق إذا امرأة تصرخ في غابة ، وإذا معها شرطي ، قد صَحَرَ حمارها^(١) ، وهو يراودها عن نفسها ، فصرخت ، فصاح به الرجل مرتين أو ثلاثاً ، فتهاون بكلامه ولم ينته . قال أبو الحارث : فرأيتُه يحرك شفثيه فإذا الشرطي يغيب في الأرض ، وأنا أنظر إليه ، فسقطنا جميعاً ، فما أفقت إلا بعد مدة ، فقممت وأنا أقول : لا إله إلا الله . فقال الرجل : لا إله إلا الله . فضيت وقلت : ليس أصحابك بعد هذا . فقال : إيئه . ورأيتُه مثل النَّادم على فعله ، وبقي كأنه مستعجب من فعله .

٣٧٢ - رجل صالح

كان بجبل لبنان ، تطوى له الأرض من يومه إلى بيت المقدس . قال أبو الحارث الأُولاسي : فصرت إليه ، فإذا هو رجل قد التبس سلامه^(٢) . فسألته : من أين المطعم ؟ فدعا بظبية كانت قريباً منه في الجبل ، فجاء بها إلى صخرة فيها نُقْرة ، فحلبها عليها ، وسقاني من اللبن .

٣٧٣ - رجل

كان بدمشق له بغل يكره من دمشق إلى تل الزبَداني^(٣) ، ويحمل عليه الناس ، فذكر أنه أكرى بغله مرة من رجل يحمل عليه متاعاً له ، فلما صار خارج الدرب ، لقيه رجل وسأله أن يحمله على رأس الحمل بأجرته ، قال : فرغبت في الكراء وحملته ولزمت الحجَّة^(٤) فلما صرنا ببعض الطريق قال لي : هل لك أن تأخذ بنا هذا الطريق فإنه مختصر [١٣٤/آ] ونحن عند مفرق طريقتين ، فقلت له : أنا لأخبر هذا الطريق ولأعرفه . فقال : أنا أعرفه ، وقد سلكته مراراً كثيرة . قال : فأخذت في ذلك الطريق ، فأشرفت على موضع وعر وحش^(٥) وواد عظيم هائل ، واستوحشت ونظرت يمنة ويسرة فلا أرى

(١) صحر الحمار ، من الصحير ، وهو صوت الحير ، وهو أشد من صهيل الخيل . اللسان : صحر .

(٢) أي لم يبين في سلامه .

(٣) كورة مشهورة معروفة بين دمشق وبعبك . معجم البلدان : ١٣٠/٣

(٤) أي جادة الطريق . اللسان : حجج .

(٥) أي خال . اللسان : وحش .

أحداً . فبينما أنا كذلك إذ قال لي : امسك برأس البغل حتى أنزل . فقلت له : أيش تنزل في هذا الموضع ؟ مر بنا نلحق البلد بوقت فقال : خذ ويلك برأس البغل حتى أنزل ، وقد أشرفت على واد عظيم ، تخايل لي أن فيه أقواماً موتى . فأمسكت برأس البغل حتى نزل ، ثم أخرج سكيناً عظيماً ، وقصدني ليقتلني ، فعدوت من بين يديه وقلت : يا هذا ، خذ البغل وما عليه . فقال : هذا هو لي ، وإنما أريد قتلك . فخوفته بالله ، وتضرعت إليه ، وبكيت ، وحذرت من الله ، فأبى وقال : لا بد من قتلك . فاستسلمت في يده ، وقلت : دعني أصل ركمتين ، ثم افعل ما بدا لك . فقال : افعل ولا تطول . فكبرت ، وأرتج عليّ القراءة ، فلم أذكر من القرآن حرفاً ، وأنا واقف متحير وهو جالس يقول : افرغ . فأجرى الله على لساني بعد وقت فقرأت ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ ^(١) فإذا أنا بفارس قد أقبل من نحو الوادي ، ويده حربة ، فرمى بها الرجل فخر صريعاً . فتعلقت بالفارس وقلت : بالله ، من أنت ؟ فقال : أنا رسول ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ ^(١) قال : فأخذت البغل والحمل ، ورجعت إلى دمشق سالماً .

٣٧٤ - رجل

حدث أنه قرأ على قبر بدمشق : نعم المسكن لمن أحسن .

٣٧٥ - شاعر

من أهل نجد ، كان بأذرعَات . من شعره : [من الطويل]

ولا أيتها البرق الذي بات يرتقي	ويجلى دجى الظلماء ذكرتني بنجد
وهيجتني من أذرعَات وما أرى	بنجد على ذي حاجة طَربِ بُعْدَا
ألم تر أن الليل يقصر طولَه	بنجد وتزداد الرياح به بُرْدَا

(١) سورة النمل : ٦٢/٢٧

من أصحاب الحديث . أنشد : [من الكامل]

كم من أخ لك لم يلده أبوكا	وأخ أبوه أبوك قد يحفوكا
كم إخوة لك لم يلدك أبوم	وكأنما أبأؤهم ولدوكا
لو رُمْتَ حَمْلُهُمْ على مكروهة	تخشى الختوف بها لما خذلوكا
وأقارب لو عاينوك منوطاً	بنياط قلبك ثم مانصروكا
فالناس ما استغنيت كنت أحملاً لهم	فإذا افتقرت إليهم رفضوكا

٣٧٧ - شاعر

من دمشق ، ومن شعره : [من الكامل]

ودعوتني فأكلت عندك لقمة	وشربت شرب من استتمَّ خروفا
وسألتني في إثر ذلك دعوة	ذهبتُ بآلي تالداً وطريفاً
فجعلتُ أفكرُ فيك باقي ليلتي	ما كنت تفعل لو أكلتُ رغيفاً ^(١)

٣٧٨ - رجل

من أصحاب الحديث . أنشد : [من الكامل]

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم	والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يـزـيـن بعضهم	بعضاً ليسكت معور عن معور

٣٧٩ - صديق

لأبي القاسم ابن أبي العقب ، أنشده : [من البسيط]

كم المقام وكـم تعـافـك العلـل	ماضت الأرض في الدنيا ولا السبل
-------------------------------	--------------------------------

(١) الأبيات في « تمة اليتيمة » : ٤١/١ وقد نسبهم الثعالبي إلى الحسن الدقاق .

إن كنت تزعم أرض الله واسعة
فأرحل فإن بلاد الله ما خلقت
الله عودني الحسنى فما برحت
إن ضاق بي بلد أبدلته عوضاً
وإن تغير لي عن وده رجلاً
لم يقطع الله لي من صاحب أملاً
لا تبتذل أبداً وجهك^(١) في طمع
فيها لفيرك مرتاد ومرتحل
إلا ليسكن منها السهل والجبل
عندي له نعمة تترى وتتصل
وإن بنا منزل بي كان لي بدل
أصفى المودة لي من بعده رجل
إلا تجدد لي من صاحب أمل
فألوجهك ماء حين يبتذل

[١٣٥/آ] ٣٨٠ - رجل

من أهل بيروت .

قرأ على سور صور مكتوباً : [من الوافر]

دع الدنيا فياني لأراها لمن يرضى بها داراً بدار
ودارك إنما اللذات فيها معلقة بأيام قصار

٣٨١ - شاعر

من المادرائيين^(٢) .

حدث أبو الفرج عبد الواحد المخزومي قال : تأخرت بدمشق عن سيف الدولة
مكرهاً ، وقد سار في بعض وقائعه ، فانقطعت إلى أبي بكر علي بن صالح الرؤدباري لتقدمه
في الرياسة ، وفضله ، فأحسن إلي ، وتوفرت على قصد المتنزهات المطروقة تسلياً وتعللاً ،
فقصدت دير مَرَّان^(٣) ، واستصحب بعض من كنت آنس به ، فنزلناه ، وكنت اخترت من
رهبانته من توسمت فيه رقة الطبع ، وسجاجة الأخلاق ، فانصرفت بي نظرة إلى بعض

(١) مستدركة على هامش الأمل والبيت مكسور الصدر .

(٢) هذه النسبة إلى مادرايا ، وهي من أعمال البصرة . وكان بمصر جماعة منهم كُتَّاباً ، وهذا الشاعر منهم ، قدم

دمشق . انظر معجم البلدان : ٢٤/٥

(٣) كان بالقرب من دمشق . انظر معجم البلدان : ٥٣٢/٢ - ٥٣٤

الرهبان ، فوجدته مترقباً لنظري ، فغمزني وأوماً إليّ ، فأنكرت ذلك ، ونهضت عجلًا ، فأخرج إلي رقعة محتومة ، ففضضتها فإذا فيها بأحسن خط وأوضحه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، لم أزل فيما تؤديه هذه المخاطبة إلى مولاي بين حزم يحث على الانقباض عنك ، وحسن ظن يحض على التجاوز عن نفيس الحظ منك ، إلى أن استزلتني الرغبة على حكم الثقة بك من غير خبرة ، فرفعت بيني وبينك سجع الحشمة ، فأطعت بالانبساط وأمر الأنسة ، وانتهزت في التوصل إلى مودتك فائت الفرصة ، والمستراح منك زُورة أرتجع ما اعتصبته الأيام من المسرة ، مهنة بالانفراد إلا من غلامك . [من الطويل]

وما ذاك عن خُلُق يضيق بطارق ولكن لأخذي باجتناب العوائق

فإن صادف ما خطبته منك تقبلاً فَمِنَّةٌ غفل الدهر عنها ، وفارق مذهبه بما أهدها إلي منها ، وإن جرى على رسمه في المضايقة فيما أوتره من قربك ، فذمام المروءة يلزمك ردّ هذه الرقعة وسترها وتناسيها واطراح ذكرها .

وتلو هذا الخطاب أبيات : [من مجزوء البسيط]

خربة أخلاقه وبالأدب	[١٢٥/ب] هل لك في صاحب تناسب بال
قربك مستنصراً على النُوب	أوحشه القرب ^(١) فاستراح إلى
لم تشن الظن فيك بالكذب	فإن تقبلت ما حباك به
فكن كمن لم تقبل ولم تحب	وإن أبى الدهر دون بغيتنا

فورد عليّ ماحيري ، وتحصل لي في الجملة أن أغلب الأوصاف على صاحبها الكتابة ، وقلت للراهب : مَنْ هذا ؟ وكيف السبيل إليه ؟ فقال : أما ذكر حاله فيأليه إذا اجتمعنا ، وأما السبيل إلى لقائه فسهل إن شئت . قلت : دلني . قال : تنصّد عنْداً تفارق أصحابك ، وإذا حصلت بظاهر الدير عدلت بك إلى باب خفي تدخل منه . فرددت الرقعة وقلت : ادفعها إليه ليتأكد أنسه بي وسكونه إليّ ، وعرفه أن التوفر على التحيل في المصير إليه أولى من التشاغل بإصدار جواب أو قطع وقت بمكاتبة . وعدت إلى أصحابي بغير النشاط الذي ذهبت به ، فأنكروا ذلك ، واعتذرت لهم بشيء عرض لي ، واستدعيت ما أركبه ، وأمرت

(١) كذا في الأصل ، وفي نسخة الدهر : ٢٠٢/١ « الدهر » وهو الأثبه .

من يخدمني بالتوفر على خدمتهم ، وقد كنا على البيت ، فاجتمعوا على تعجل الانصراف ، وخرجت من الدير ومعهم مملوك كنت أنس به . وتلقاني الراهب فعدل بي إلى طريق وأدخلني الدير من باب غامض ، وصار بي إلى قَلَايَة^(١) ، ففرع باها بمحركات مختلفات كالعلامة ، فابتدنا منه غلام ، كأن الشمس تشرق من عُزْرته ، والليل في أصدائه وطرته ، بغلالة تمّ على ماتستره ، فبهر عقلي ، واستوقف نظري ، ثم أجفل كالطبي المدعور ، وتلوته والراهب إلى صحن القَلَايَة ، فإذا بيت مفروش مبسوط ، فوثب إلينا منه فتى مقبل الشبيبة ، ظاهر النبل ، حسن الصورة متزي^(٢) من اللباس بزي غلامه ، فلقيني حافياً يعثر في سراويله ، واعتنقني وقال : إنما استخدمت هذا الغلام في تلقيك لأجعل مالعلك استحسنه من وجهه قبالة ماترد عليه من قبح وجهي ؛ [١٣٦ / أ] فاستظرفت اختصاره الطريق إلى بسطي ، وارتجاله النادرة على نفسه حرصاً في تأنيسي ، وأفاض في شكري على المسارعة إليه ، وأنا أواصله بالتعبد له ، والاعتداد بتفضله . وقال : أنت مكدود بمن كان معك ، والتمع بمحادثتك لا يتم إلا بالتوصل إلى راحتك . فاستلقيت سيراً ، ثم نهضت ، فخدمت في حالي النوم واليقظة الخدمة التي ألفتها في دور أكابر الملوك . وأحضرنّا خادم له طبقاً يضم ما يتخذ للعشاء . فقال لي : الأكل مني ياسيدي للجوع ، ومنك للمالحة والمساعدة . فنلنا شيئاً ، وأقبل الليل ، وجاءنا الراهب من الأشربة بما أخبرناه . ولم يزل يناهيني نوادر الأخبار ، ومُلَحّ الأشعار ، ويخلط ذلك من المزاج بأطرفه ، ومن التودد بالطفه إلى أن توسطنا الشرب ، فالتفت إلى غلامه فقال : يامترف ، إن مولاك مادخر عتاً السرور بحضوره ، وما يجب أن ندخر ممكناً في مسرّته . فامتقع وجه الغلام حياء وخفراً ، فأقسم عليه بحياته وأنا لأعلم ما يريد ، فضى وجاء بطنبور ، وجلس وغنى : [من المجتث]

يامالكي وهو ملكي وسالي ثوب نسكي
نزرّه يقين الهوى في لك عن تعرّض شك
لولاك مازلت أبكي إلى الصبراح وأبكي

فنظر إلى الغلام وتبسم ، فعلمت أن الشعر له ، وكدت أطيّر طرباً ، فاستدعيت

(١) كالصومعة . اللسان : قلا .

(٢) في الأصل : مثر . والمثبت ماهو في يتية الدهر : ٢٠٤/١

كيزاً ، فأحضرنَا الخادم عدة قطع من فاخر البلور وجيد الحكم ، فشربت وشرب ، ثم قال :
 أنا أحب ترفيهك ، ولا أقطعك عما أنت متوفر عليه ، فقد عرفت الاسم والنسب والصناعة ،
 وقد كنت أؤثر أن نسم ليلتنا بشيء يكون لذكرها معلماً . فكتبت ارتجالاً : [من المجتث]

وليلة أوسعتني	حسناً ولهواً وأنسا
مازلت ألتم بـ	ها وأشرب شمساً
إذ أطلع الدير سعداً	لم يبق مُذْ لاح نحسا
فصار للروح روحاً	مني وللنفس نفساً

[١٣٦ ب] فطرب على قولي : ألتم بدرأ وأشرب شمساً ، وعلى قولي : للروح روحاً ،
 وللنفس نفساً . وجذب غلامه فقبله ، وقال : ما جهلت ما يجب لسيدي من التوقير ، وإنما
 اعتمدت تصديقك فيما ذكرته ، فبحياتي إلّا فعلت ذلك بغلامك ، فاتبعت إشاره خوفاً من
 احتشامه ، وأخذ الأبيات ، وجعل يردّها ، وكتب إجازة لها : [من المجتث]

ولم أكن لغريمي	والله أبذل فلساً
لو ارتضى لي خصمي	بـدير مُرّان حبساً

فقلت : إذا ما كان أحد يؤدي حقاً ولا باطلاً . وعرفت أنه مستتر من دين . وقال
 لي : قد خرج لك أكثر الحديث ، فإن عذرت وإلا ذكرت الحال لتعرفها على صورتها ،
 فتبينت ما يؤثره من كتمان نفسه ، فقلت له : ياسيدي كل ما لا يتعرف بك نكرة ، وقد
 أغنت المشاهدة عن الاعتذار . وجعل يشرب وينخب علي من غير إكراه ولا حث إلى أن
 رأيت الشراب قد أخذ منه . وأكب على مجاذبة غلامه ، فأظهرت النوم ، ففرش لي إلى
 جانب فراشه ، وقام يتفقد أمري بنفسه ، فقلت : إن لي مذهباً في تقريب غلامي مني ،
 واعتمدت بذلك تسهيل ما يختاره من غلامه ، فتبسم ، وقال لي بسكره : جمع الله لك المسرّة
 كما جمعها لي بك . وأظهرت النوم ، وعاد يجاوب غلامه بأعذب ألفاظ ، وأحلى معاتبة ،
 ويخلط ذلك بمواعيد تدل على سعة حال وانبساط يد ، وغلامه يقبل يده ورجله وفه ،
 وغلب علي النوم إلى أن أيقظني هواء السحر ، فانتبهت وهما متعانتقان ، فأردت توديعه ،
 وحاذرت إزعاجه ، فخرجت ولقيني الخادم يريد إنباهه ، فأقسمت عليه ألا يفعل ، وركبت
 منصرفاً ، ومحدثاً نفسي بالعودة إليه ، ومتوهماً أن ما كنت فيه مناماً لطيبه ، واعترضني

أشغال أدتُ إلى اللحاق بسيف الدولة ، فسرت متحسراً على ما فاتني من معرفة حقيقة خبره ، ولم أزل متلهفاً على ^(١) ما سلبته من ^(٢) فراقه ، ولم أحصل على حقيقة خبر [١٣٧/ أ] يطبعني في لقائه إلى أن عاد سيف الدولة إلى دمشق ، فما بدأت بشيء قبل المصير إلى الدير ، وطلبت الراهب ، وسألته عن خبره ، فقال : أما الآن فنعم ، هذا فتي من المادرائيين ، عظيم النعمة ، جليل القدر ، كان صَمن من السلطان بمصر ضياعاً بمال عظيم ، فخاش ^(٣) به ضامنه وأشرف على الخروج من نعمته ، فاستتر ، واشتد البحث عنه ، فخرج مختفياً إلى هذا البلد بزري تاجر ، واستتر عند بعض إخوانه ممن أعرفه ، فإني يوماً عنده إذ ظهر لي وقال لصديقه : إني أريد الانتقال إلى هذا الراهب إن كان عليّ مأموناً ، فذكر له صديقه مذهبي ، وأظهرت المسرة بما رغب فيه من الأنس بي ، وأنا لأعرفه ، غير أن صديقي أمرني بخدمته ، وأكد عليّ تأكيداً عرفت منه جلالة قدره ، وحصل في قلايتي يواصل الصوم ، فبعد أيام جاءنا رسول صديقنا ومعه الغلام والخادم وقد لحقا به بسفاتج وعليها ثياب رثة ، فلما نظر إلى الغلام قال : يا راهب ، جاء الفطر مع إقبال العيد . وثب إليه فاعتنقه ، وقبّل بين عينيه ويبكي ، وأنفذ رقعة منه إلى صديق له ، فحمل إلينا ألفي دينار ، فدفع إليه منها ثلاث مئة دينار وقال له : ابتع لنا ما نستخدمه في هذه الضيقة . فابتاع آلة وفرشاً ، ولم يزل مكباً ^(٤) على ما رأيت ^(٥) إلى أن ورد عليه غلمانه بالبغال والآلات الحسنة ، وكتب أهله باجتماعهم على الإخشيد ، وتعريفهم حاله ، في بعده عن وطنه لضيق يده عما يُطالب به ، والتوقيع بمحبيطة المال عنه ، وبعوده إلى بلده بالكتب ، فلما عمل على المسير قال لغلامه : سلّم ما بقي من نفقتك إلى الراهب يصرفه في مصالح الدير إلى أن نواصل تفقده من مستقرنا . وسار وماله حسرة غيرك ، ولا يشرب إلّا على ما يغنيه الغلام من شعرك ، وهو بمصر على أفضل حال ، ما يخل بتفقدتي . فتعجلت بعض السلوة بما عرفتته من حقيقة خبره ، وأقيمت يومي عند الراهب ، وانصرفت .

(١-١) مستدرك على هامش الأصل .

(٢) أي نقص . انظر اللسان : خوش .

(٣-٣) مستدرك على هامش الأصل .

أنشد هذا الشعر : [من الوافر]

وجدت أخص إخواني عدوي إذا ما الدهر أحوجني إليه
سلمت من العدو ومادهاني سوى من كان معتدي عليه

٣٨٢ ب - رجل

أنشد هذا الشعر : [من المديد]

مالك لا تفعل الجميل وقد صورك الله أحسن الصور
ليس جمال الفتى بنافعه إلا بنشر الجميل في البشر

٣٨٣ - شاعر

كتب إلى أبي الحسن ^(١) بن الران الواعظ : [من المتقارب]

عجبت ومثلي لا يعجب	طربت ومثلي لا يطرب
لليلى يكر على فجره	وعمرى بينها يذهب
وماتبت لله من زلة	فأين من الله لي مهرب
ولا خفت سطوته إذ خلوت	بأقبح شيء له أركب
فواحزني ثم واحسرتي	على مكسب شر ما يكسب
ويالهف نفسي على توبة	تقرب مني الذي أطلب
وكيف السبيل إلى ما طلبت	وأنت خير مما يطلب
وقل لي يا طربي تارة	وياعجبى ما الذي يعجب
وإني لفي شغل عنها	بأمر عظيم هو الأغلب
فلله درك من واعظ	يرغب فيما لله يرغب

(١) مستدركة على هامش الأصل .

فأجابه الشيخ أبو الحسن بن الران الواعظ : [من المتقارب]

عجبت لذي اللب إعجابه	وأسباب غفلته أعجب
فإن كنت أبصرت قصد الطريق	يقيناً وصح لك المطلب
فخذ في مسيرك ذات اليقين	تفوز وتعطى ^(١) بما تطلب
وأكثر من الزاد قبل المعاد	لعلك تنجو ولا تعطب
فما الخير للمرء في لذة	تبيد ، وأيامه تذهب
[١٣٨/٢] نهار ير وليل يكر	ويومان بينهما تسلب
وعما قليل يكون الحريص	في القبر رهناً بما يكسب
ويطلب من ذنبه مهرباً	وهيهات عزُّ به المهربُ
وأصبح في قعر مرموسه	توعد من دونها المطلب
وليس بها ضوء شمس يبين	ولا ضوء بدر ولا كوكب
فيا عجباً من فتى لاعب	وأيدي المنون به تلعب
ويضحك من غير سنه	وعين الزمان له تندب
ويبعده العيش في كل يوم	وأسباب مَنِيَّتِه ^(٢) تقرب
ويغفل عن مَرَّ أيامه	وصرف الزمان له يلعب
ويفرح للشمس إذ أشرقت	وشمس بشاشتته تغرب

٣٨٤ - رجل

أنشد لأبي العتاهية : [من مجزوء الكامل]

ما للمقابر لا تجيب	سب إذا دعا هنُّ الكئيبُ
حفر مسقفة ^(٣) علي	هن الجنادل والكئيبُ
فيهن ولُـلـدان وأطـ	فال وشبَّان وشيبُ
كم من خليل لم تكن	نفسى لفرقتـه تطيبُ

(١) كذا في الأصل . واستواء الوزن ألجأ الشاعر إلى هذا اللحن .

(٢) لا يستقيم الوزن إلا بهذا الضبط ، وهو لحن ، والمنيّة : الموت . اللسان : مني .

(٣) في الأصل . مشققة ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٩٠/١٩ ب وفي الديوان : ٣٥ مسترة .

غَادَرْتُـهُ فِي بَعْضِهِنَّ مُجَدِّلاً وَهُوَ الْحَبِيبُ
وَلَمْ تُوْتْ عَنْهُ وَإِنَّا عَهْدِي بِرُؤْيَيْهِ قَرِيبُ

٣٨٥ - شاعر

من دمشق .

قال فيما جرى بدمشق سنة إحدى عشرة وأربع مئة عند فتنة ولي العهد عبد الرحيم بن إلياس : [من الطويل]

تَقْضَى أَوَانُ الضَرْبِ وَالطَّعْنِ وَالْحَرْبِ	وَجَاءَ أَوَانُ الْوِزْنِ ^(١) وَالصَّفْعِ وَالضَرْبِ
وَأَضْحَتْ دِمَشْقُ فِي مَصَابٍ وَأَهْلَهَا	لَمْ خَبِرْ قَدْ شَاعَ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ
حَرِيقٌ وَجُوعٌ دَائِمٌ وَبَلِيَّةٌ	وَخَوْفٌ فَقَدْ حَقَّ الْبُكَاءُ مَعَ النَّدْبِ
كَأَنَّ دِمَشْقاً حِينَ تَنْظُرُ أَهْلَهَا	وَقَدْ حَشَرُوا حَشَرَ الْقِيَامَةِ لِلْكَتَبِ
[١٣٨/ب] فُلُوْكَانَ مِنْ يَجْنِي يَقَادُ بِذَنْبِهِ	لَكُنَّا بَرَاءَ مَنْ قِيَادَ وَمَنْ ذَنْبِ
فَوَا أَسْفَى أَنْ الْمَدِينَةَ أَحْرَقَتْ	وَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفُ السَّخَطِ مِنْ رِي
وَأَضْحَتْ تَلَالاً قَدْ تَحْتَ رَسُومِهَا	كَبَعْضِ دِيَارِ الْكُفْرِ بِالْحَسَفِ وَالْقَلْبِ
وَأَحْرَقَتْ الْأَبْوَابَ مِنْ كُلِّ جَانِبِ	فَأَصْبَحَتْ بَعْدَ الْأُنْسِ يَنْكُرُهَا قَلْبِي
إِلَى أَيْنَ أَسْعَى مِنْ دِمَشْقٍ وَأَرْضِهَا	بِهَا جَنَّةُ الْفَرْدَوْسِ لِلْأَكْلِ وَالشَّرْبِ
وَجَامِعُهَا إِحْدَى الْعَجَائِبِ فِي الْوَرَى	لَهُ الْخَبَرُ الْمُنْعَوَاتِ فِي سَائِرِ الْكَتَبِ
إِلَيْكُمْ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ نَعِيَتْهَا	وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَقْصَرْتُ فِي نَعْتِهَا خَطْبِي

٣٨٦ - رجل

أَنشَدَ لِبَعْضِهِمْ : [من الخفيف]

قَدْ سَجَنَّا نَفُوسَنَا فِي الْبُيُوتِ	وَقَنَعْنَا مِنْ دَهْرِنَا بِالْقُسُوتِ
وَرَضِينَا مِنَ الصَّدِيقِ إِذَا مَا	نَابَ خَطْبٌ يَعِينُنَا بِالسَّكُوتِ

(١) أي الدفع ، والمصادرة والضرائب .